

مُقَدِّمَةٌ

تَطْهِيرُ الْإِعْتِقَادِ وَشَرْحُ الصُّدُورِ

لِلْإِمَامَيْنِ الْيَمَنِيِّينِ الصَّنَعَائِفِ وَالشُّوكَايِفِ

تَأَلِيفُ

عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ عَبْدِ الْعَبَّاسِ السَّبْرِيِّ

obeikandi.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، وأشهد أن  
إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد  
أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ  
الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله  
وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فإنَّ نعم الله على عباده كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأعظمُ نعمة أنعم  
بها على أهل الأرض أن بعث فيهم رُسُلَهُ الكرام، ليُخرجوهم بإذن ربِّهم من  
الظلمات إلى النور، ويُبينوا لهم أن الواجبَ عليهم إخلاص العباداة لله وحده،  
وَألَّا يشركوا به أحداً من مخلوقاته، وقد قام الرسلُ الكرام بتبليغ ما أمروا  
بتبليغه على التمام والكمال، وقد ختم الله هذه الرسالات برسالة نبينا محمد ﷺ  
إلى الثقلين الجنِّ والإنس، وهم أمته أي أمة الدعوة، فدَّهَمَ على كلِّ خير،  
وحذَّره من كلِّ شرٍّ، وأعظمُ شيء دَّهَمَ عليه أفراد الله بالعبادة، وأعظمُ شيء  
نهاهم عنه أن يجعلوا مع الله آلهة أخرى، فَمَنْ وفَّقه الله منهم استسلم وانقاد لما  
جاء به الرسول ﷺ، وَمَنْ كان من أهل الخذلان أعرض عن الحقِّ والهدى  
الذي جاء به الرسول ﷺ، فخرس الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ومن أعظم الوسائل التي تفضي إلى الشرك البناء على القبور وتعظيمها،  
ولهذا جاءت الأحاديث الكثيرة المتواترة عن رسول الله ﷺ في تحريم البناء على  
القبور واتخاذها مساجد، ومنها ما قاله رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمس ليالٍ،  
ومنها ما قاله عند نزع روحه ﷺ، وفي ذلك الدلالة الواضحة على أنَّها مُحْكَمَةٌ  
غير منسوخة؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يعيش بعد أن قالها، فلا يكون هناك مجال

للسنخ، وهذا من كمال بيانه ونصحه لأُمَّته وشفقته عليها صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وقد اعتنى العلماء قديماً وحديثاً ببيان خطر البناء على القبور والافتتان بها، وأن ذلك يُفْضِي إلى الشرك، ومن هؤلاء العلماء عالمان يَمِينيان عاش أحدهما في القرن الثاني عشر، والآخر في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وهما الشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المولود سنة (١٠٩٩هـ)، والمتوفى سنة (١١٨٢هـ)، وقد أَلَفَ في ذلك كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، والثاني الشيخ الإمام محمد ابن علي الشوكاني، المولود سنة (١١٧٢هـ)، والمتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، وقد أَلَفَ في ذلك كتابه: «شرح الصدور في تحريم رفع القبور».

وقد رأيت أن أجمع بين هذين الكتابين تيسيراً للانتفاع بهما، مع التعليق على مواضع منهما، وأن أقدِّم بين يدي ذلك بمقدِّمة تشتمل على خمسة فصول:

**الفصل الأول:** في التعريف بالإمامين الصنعاني والشوكاني وكتابيهما «تطهير الاعتقاد» و«شرح الصدور» من كلام شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمته الله، نقلاً من تقديمه للجامع الفريد طبعة الجميع.

**الفصل الثاني:** في بيان تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

**الفصل الثالث:** في اتفاق دعوة الرسل على أفراد الله بالعبادة، واتفاق أقوامهم على معارضتهم واتباعهم ملّة الآباء.

**الفصل الرابع:** في تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد وما يُفْضِي إليه من الشرك بدعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف

الكربات، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله.

الفصل الخامس: في حكم دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، ومتى

يُحکم على مَنْ دعاهم واستغاث بهم بالكفر؟

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفَع بهذا العمل، وأن يوفِّق المسلمين للفقهِ في

دينهم وعبادة ربِّهم على الوجه الذي شرعه لهم، وأن يُسلِّمهم من الوقوع في

الشرك، وأن يقيهم الوسائل والذرائع الموصلة إليه، وصلى الله وسلم وبارك

على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



## الفصل الأول:

في التعريف بالإمامين الصنعاني والشوكاني وكتابيهما « تطهير الاعتقاد » و« شرح الصدور » من كلام شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمته الله، نقلا من تقديمه للجامع الفريد طبعة الجميع.

### أولاً: الإمام الصنعاني:

« هو العالم الفاضل محدث وقته وفقه زمانه الشيخ محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، وُلد بكحلان عام (١٠٩٩هـ)، وُحِّيت إليه الرحلة في طلب العلم، وانتقل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الحجاز وأخذ عن كبار علماء مكة والمدينة، ثم عاد إلى صنعاء لنشر العلم، وإحياء السنة والقضاء على البدعة، فجلس للتدريس وبذل فيه جهده، حتى اشتهر أمره وعلا قدره وارتفع سهمه، وصار مرجعاً لأهل العلم ببلاده، ونهض بالدعوة إلى الإصلاح، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصدع بالحقّ وشدّد في النكير على المبتدعة والمنحرفين، لا يُبالي بما يُصيبه من أذاهم، ولا يخشى في الله لومة لائم، فكفاه الله غائلتهم، واجتمع حوله خلق كثير، وكان له من الأثر المحمود ما نرجو أن يجزيه الله به خير الجزاء.

وإلى جانب ما قام به بعد التدريس والوعظ والإصلاح، ألّف كتباً ورسائل كثيرة، منها: « سبل السلام شرح بلوغ المرام »، و« العدة »، وهي تعليقات حشّى بها الأحكام لابن دقيق العيد على « عمدة الأحكام »، و« قصب السكر نظم نخبة الفكر » لابن حجر، وشرحه بكتاب سَمَاء « إسبال المطر »، و« إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد »، و« تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد »، وهو

الكتاب الذي نقدّمه للقراء.

إنّ هذا الكتاب مع صغر حجمه عَظُمَ نفعه وعمّت فائدته، وقد ربّته المؤلف على مقدمة وخمسة أصول وجملّة فصول، أمّا المقدمة فذكر فيها ما حمّله على تأليفه من انتشار الشرك في الأمصار والبلاد بتعظيم السواد الأعظم من الناس للقبور ومن فيها تعظيماً لا ينبغي أن يكون إلّا لله وحده، واعتقادهم في الكهنة الذين يزعمون الكشف وعلم الغيب، وتصديقهم إيّاهم في ذلك، وأمّا الأصول ففي بيان أنّ القرآن حقٌّ وقولٌ صدق، وأنّ الرسل إنّما بُعثوا بتوحيد الألوهية، وأنّه أساس صحة العبادة وقبولها، أمّا توحيد الربوبية فهو مركز في الفطر، وقد أقرّ به المشركون، ولكنّه لا يُغني عنهم شيئاً لإخلاقهم بتوحيد العبادة، وأمّا الفصول فقد فصل فيها ما أجمله في الأصول الخمسة من أنواع العبادة والاستدلال عليها، وذكر فيها كثيراً من الشبه التي يتعلّل بها المبتدعة لشركهم وأجاب عنها، وجعل ذلك على صورة السؤال والجواب؛ تحديداً للمطلوب وتيسيراً للفهم حتى تقوم الحجة ويتم الإعذار، فالله أسأل أن يغفر لنا وله ويفيض علينا من رحماته ويسكننا فسيح جنّاته، إنّه مجيب الدعاء، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».



## ثانياً: الإمام الشوكاني:

« هو العالم الفاضل الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، وُلد في ذي القعدة عام (١١٧٢هـ)، وتوفي في جمادى الآخرة عام (١٢٥٠هـ) رحمته الله. »

حفظ القرآن وجوّده على جماعة من المعلمين بصنعاء، وحفظ كثيراً من المتون في الفقه وأصوله وفي النحو والبلاغة والمنطق وأدب البحث والمناظرة وغيرها من الفنون المختلفة، ثم حضر مجالس العلماء فتلقّى عنهم شروح هذه المتون وغيرها من المؤلفات، وبذل جهده في ذلك حتى تفوّق في كثير من علوم الشريعة واللغة العربية، واشتغل بالتدريس والتأليف حتى لقي ربّه فانتفع به خلق كثير، وانتشرت مؤلفاته بين المتعلمين في الأمصار والبلاد، وهي كثيرة منها: « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار »، و« إرشاد الفحول في علم الأصول »، و« الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد »، و« مفيد المستفيد في الردّ على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد »، و« رسالة شرح الصدور في تحريم رفع القبور »، وهي التي نقدّمها للقراء.

بدأ المؤلف هذه الرسالة ببيان وجوب الردّ عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنها الحكم العدل الذي يفصل بين الحقّ والباطل عند الاختلاف، واستدلّ على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، وأنّ العلماء وإن تفاوتوا في تحمل المسؤولية وفي الفضل والجزاء تبعاً لتفاوتهم في العلم والإمامة والوجاهة، فلا يصح أن يتعلّل بذلك في جعل بعضهم حجة على بعض، عند

التنازع في المسائل العلمية<sup>(١)</sup>، وإنما يوجب ذلك التعاون بينهم فيأخذ القويُّ بيد الضعيف، ويكشف عن غامض المسائل وأدلّتها، ويدله على طرق الاستدلال حتى ينهض ويصير في عداد العلماء، ثم ذكر مسألة تحريم رفع القبور والبناء عليها على سبيل المثال؛ ليوضح بذلك طريقة العلماء في الرجوع عند التنازع إلى الكتاب والسنة، فذكر الأحاديث الكثيرة في تحريم رفع القبور والبناء عليها ووجوب هدم ما كان مبنياً عليها، وتحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَنْ فعل ذلك، وبيّن وجه الاستدلال بها على المطلوب، والحكمة التي روعيت في ذلك، وأفاض في ذكر الفتن التي تنشأ عن هذه البدع، وأثّرها ذريعة إلى الشرك الأكبر، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا وإيَّاه في دار كرامته، وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».



(١) في المطبوع: «وأذن في العلماء وإن تفاوتوا في تحمل المسؤولية وفي الفضل والجزاء تبعاً لتفاوتهم في العلم والإمامة والوجاهة، ولا يصح أن يتعلل بذلك في جعل بعضهم حجة بعض...»، ولعل الصواب ما أثبتته.

## الفصل الثاني:

### في بيان تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

الإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه وتعالى متّصفٌ بكلِّ كمال يليق به، منزّهٌ عن كلّ نقص، فيجب توحيدَه برُبوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وتوحيدَه برُبوبيته الإقرارُ بأنّه واحد في أفعاله، لا شريك له فيها، كالحلق والرّزق والإحياء والإماتة، وتدبير الأمور والتصرّف في الكون، وغير ذلك ممّا يتعلّق برُبوبيته.

وتوحيد الألوهية توحيدَه بأفعال العباد، كالدعاء والخوف والرّجاء والتوكّل والاستعانة والاستعاذة والدّبح والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، فضلاً عمّن سواهما.

وأما توحيد الأسماء والصفات، فهو إثبات كلّ ما أثبتَه لنفسه وأثبتَه له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكيف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كلّ ما لا يليق به، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فجمع في هذه الآية بين الإثبات والتنزيه، فالإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والتنزيه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وهكذا يُقال في كلّ ما ثبت لله من الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة، ويتضح ذلك بأول سورة في القرآن، وآخر سورة؛ فإن كلاً منهما مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة.

فأما سورة الفاتحة، فإن الآية الأولى فيها، وهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مشتملة على هذه الأنواع؛ فإن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيها توحيد الألوهية؛ لأن إضافة الحمد إليه من العباد عبادة، وفي قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إثبات توحيد الربوبية، وهو كون الله عز وجل رب العالمين، والعالمون هم كل من سوى الله؛ فإنه ليس في الوجود إلا خالق ومخلوق، والله الخالق، وكل من سواه مخلوق، ومن أسماء الله الرب، وقبله لفظ الجلالة في هذه الآية.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مشتمل على توحيد الأسماء والصفات، والرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله يدلان على صفة من صفات الله، وهي الرحمة، وأسماء الله كلها مشتقة، وليس فيها اسم جامد، وكل اسم من الأسماء يدل على صفة من صفاته.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية، وهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، وإنما خصَّ يوم الدين بأن الله مالكه؛ لأن ذلك اليوم يخضع فيه الجميع لرب العالمين، بخلاف الدنيا، فإنه وجد فيها من عتا وتجر، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ فَسْتَعِينُ﴾ فيه إثبات توحيد الألوهية، وتقديم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ يُفيد الحصر، والمعنى: نخصك بالعبادة والاستعانة، ولا نشرك معك أحداً.

وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ فيه إثبات توحيد الألوهية؛ فإنَّ طلب الهداية من الله دعاءً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، فيسأل العبد ربه في هذا الدعاء أن يهديه الصراط المستقيم الذي سلكه النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، الذين هم أهل التوحيد، ويسأله أن يُجَنِّبه طريق المغضوب عليهم والضالّين، الذين لم يحصل منهم التوحيد، بل حصل منهم الشُّركُ بالله وعبادة غيره معه.

وأما سورة الناس، فقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات أنواع التوحيد الثلاثة؛ فإنَّ الاستعاذة بالله فيه توحيد الألوهية.

﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهو مثل قول الله عزَّ وجلَّ في أول الفاتحة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات الربوبية والأسماء والصفات.

﴿ إِلَهِنَا ﴾ فيه إثبات الألوهية والأسماء والصفات.

والنسبة بين أنواع التوحيد الثلاثة هذه أن يُقال: إنَّ توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمّنٌ لهما، والمعنى أنَّ مَنْ أقرَّ بالألوهية فإنَّه يكونُ مُقرّاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنَّ مَنْ أقرَّ بأنَّ الله هو المعبودُ وحده فخصَّه بالعبادة ولم يجعل له شريكاً فيها، لا يكون منكرًا أنَّ الله هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ، وأنَّ له الأسماء الحسنی والصفات العلی.

وأما مَنْ أقرَّ بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فإنَّه يلزمه أن يُقرَّ بتوحيد الألوهية، وقد أقرَّ الكفارُ الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ بتوحيد الربوبية، فلم يدخلهم هذا الإقرارُ في الإسلام، بل قاتلهم النبيُّ ﷺ حتى

يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ولهذا يأتي كثيراً في القرآن تقريرُ توحيد الربوبية الذي أقرَّ به الكفار؛ لإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ هَا رَؤسَى وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ أَمْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾

ففي كلِّ آية من هذه الآيات تقريرُ توحيد الربوبية للإلزام بتوحيد الألوهية، فيقول في كلِّ آية من هذه الآيات الخمس عقب تقرير توحيد الربوبية: ﴿أَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ﴾، والمعنى أن مَنْ تفرَّد بهذه الأفعال التي هي من أفعال الله وحده، يجب أن يُخصَّص بالعبادة وحده؛ لأنَّ مَنْ اختصَّ بالخلق والإيجاد وغيرها من أفعال الله يجب أن يُخصَّص بالعبادة وحده، وكيف يُعقل أن تكون المخلوقات التي كانت عدماً، وقد أوجدها الله، كيف يُعقل أن يكون لها نصيبٌ من العبادة وهي مخلوقة لله؟!

قال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في كتابه أضواء البيان (٣/ ٤٠٩ - ٤١٤) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: «فمن ذلك توحيد الله جلَّ وعلا، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم

الطرق وأعد لها، وهي توحيده جلّ وعلا في ربوبيّته وفي عبادته، وفي أسماائه وصفاته، وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أنّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيّته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ الآية، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تجاهل من عارف أنّه عبدٌ مربوب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِرٍ...﴾ الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى (لا إله إلا الله)، وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه الممارك بين الرسل وأممهم ﴿أَجْعَلِ آلَهُةً لِنَهَا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ...﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢﴾، وقوله: ﴿وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٣﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٤﴾، فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إِنَّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَحْصُورٌ فِي هَذَا النُّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ؛ لشمول كلمة (لا إله إلا الله) لجميع ما جاء في الكتب؛ لأَنَّهَا تَقْتَضِي طَاعَةَ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيدهِ جَلَّ وَعَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿٥﴾.

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿٦﴾: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٧﴾، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتِّصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿٨﴾، وقد قدَّمنا هذا المبحث مستوفى موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جَلَّ وَعَلَا على وجوب توحيدهِ في عبادته، ولذلك يُخَاطَبُهُمْ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته احتجَّ بها عليهم على أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِأَنَّهُ يُعْبَدُ وَحْدَهُ، ووبَّخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنَّه هو

الرب وحده؛ لأنَّ مَنْ اعترف بأنَّه هو الربُّ وحده لزمه الاعتراف بأنَّه هو المستحق لأن يُعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا أَقْرَأُوا بِرَبوبيته وبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ١١٠ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ١١١، فلَمَّا اعترفوا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ١١٢ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ١١٣، فلَمَّا أَقْرَأُوا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاوِزُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ١١٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ١١٥، فلَمَّا أَقْرَأُوا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ الاعتراف وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَفْسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ إقرارهم وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ اعترافهم وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ إقرارهم وبخهم منكرًا عليهم

شركهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلما صحَّ اعترافهم وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هَآءِ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ ١٨٠ ﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾، ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أن القادر على خلق السموات والأرض وما ذكر معها خير من جماد لا يقدر على شيء، فلما تعيَّن اعترافهم وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾، ولا شك أن الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله، فلما تعيَّن اعترافهم وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾، ولا شك أن الجواب كما قبله، فلما تعيَّن إقرارهم بذلك وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾، ولا شك أن الجواب كما قبله، فلما تعيَّن إقرارهم بذلك وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ﴾، ولا شك أن الجواب كما قبله، فلما تعيَّن الاعتراف وبخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ

مِنْ شَيْءٍ ۞، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا! أي ليس من شركائنا مَنْ يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرِّزق والإماتة والإحياء، فلَمَّا تَعَيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ۞ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞.

والآيات بنحو هذا كثيرة جدًا، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أنَّ كلَّ الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يُراد منها أنَّهم إذا أقرُّوا رتَّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المقرَّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكَّ ۞، وقوله: ۞ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا ۞، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ على أنَّ الاستفهام المتعلِّق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار؛ لأنَّهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالَّة عليه.

والكلام على أقسام التوحيد ستجده إن شاء الله في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المبارك، بحسب المناسبات في الآيات التي نتكلَّم على بيانها بآيات آخر..



## الفصل الثالث:

في اتفاق دعوة الرسل على أفراد الله بالعبادة، واتفاق أقوامهم على معارضتهم واتباعهم لملة الآباء.

خلق الله الخلق ليعبدوه، فقال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، أي: خلقهم لأمرهم بعبادة الله وحده ونهيهم عن عبادة كل من سواه، وقد جاءت آيات الكتاب العزيز دالة على هذه الدعوة إجمالاً وتفصيلاً، وجاءت الآيات أيضاً إجمالاً وتفصيلاً دالة على كفر أقوامهم بهم وبقائهم على ما كان عليه آباؤهم.

فمن الآيات الدالة إجمالاً على دعوة الرسل أمهم إلى أفراد الله بالعبادة قول الله عز وجل في سورة النحل: ﴿ يُتَزَلُّ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، وقوله في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾.

ومن الآيات الدالة إجمالاً على كفر أقوامهم بهم وبقائهم على ما كان عليه آباؤهم قول الله عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُ شَكِّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ

مبين ﴿

وقد أخبر الله في هاتين الآيتين عن قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أنهم قالوا لرسولهم: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾، وأنهم قالوا: ﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾.

ومنها قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾، وقوله في سورة الزخرف: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾، وقوله في سورة الذاريات: ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾.

وأما الآيات الدالة تفصيلاً على دعوة كل رسول قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ورد قومه عليه بالكفر به والبقاء على ما كان عليه الآباء:

فقد قال الله عن نوح في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، وقال في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴾، وقال في سورة نوح: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴾.

وقال عن رد قومه عليه في سورة المؤمنون: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿١﴾.

وقال عن هود في سورة الأعراف: ﴿وَالِىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿وَالِىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۗ﴾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۗ آخِرِينَ ﴿١٠٠﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ﴾، قيل: هو هود، وقيل: هو صالح، وقال في سورة الشعراء: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رُسُلَهُ ۗ فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ هُوَ يَبْعَثُ عَنْ لِقَايِهِ أُمَّةً ذَاتَ آلِهَةٍ مُّشْرِكِينَ ۗ رَبُّهُمْ يَعْلَمُ ۗ﴾، وقال في سورة فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٠٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ﴾، وقال في سورة الأحقاف: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۗ﴾، وقال في سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۗ﴾.

وقال عن صالح في سورة الأعراف: ﴿وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ هُوَ

أَشْرَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿١﴾، وقال في الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ  
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤﴾  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَعُونَ ﴿٥﴾، وقال في النمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١﴾، وقال في فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ  
 أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ  
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴿٢﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في سورة هود: ﴿قَالُوا يَنْصَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا  
 قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَدُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾.  
 وقال عن لوط في الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ  
 أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَعُونَ ﴿٤﴾، وقال  
 في القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأَنْذَرِ ﴿١﴾.

وقال عن إبراهيم في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ  
 أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ  
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَكَ ﴿١﴾، وقال في  
 مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْتَنِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١﴾،  
 وقال في الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ  
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِي مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿قَالَ  
 أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١﴾ أَفَبِكُفْرِكُمْ وَلَمَّا  
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ  
 نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِي مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا  
 عَنكِفِينَ ﴿٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٥﴾ قَالُوا

بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٤٠﴾، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ  
 مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ  
 لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣٢﴾، وقال  
 أيضاً: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَّيَلَعُنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَأَكُمُ النَّارُ وَمَا  
 لَكُمْ مِّن نَّصِيرِينَ ﴿١٣٣﴾، وقال في الصافات: ﴿وَإِنَّ مِّن شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٤﴾  
 إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿١٣٦﴾ أَيْفَاكُاءِ إِلَهَةٍ  
 دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿١٣٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾، وقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ  
 ﴿١٣٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾، وقال في الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ  
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٤١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١٤٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي  
 عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٤٣﴾، وقال في الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي  
 إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
 كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿١٤٤﴾.

وقال في ردِّ قومه عليه: جواب أبيه في سورة مريم: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَن  
 إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿١٤٥﴾، وقال في الأنبياء: ﴿قَالُوا  
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَاهَا عِبْدِينَ ﴿١٤٦﴾، وقال: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتِكُمْ إِن كُنْتُمْ  
 فَاعِلِينَ ﴿١٤٧﴾، وقال في الشعراء: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٤٨﴾.

وقال عن شعيب في الأعراف: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٤٩﴾، وقال في  
 هود: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ وَلَا

تَنْقُصُوا الْمَكِّيَّالَ وَالْمِيزَانَ ۖ، وقال في الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا ۖ، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُورِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ  
لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ، وقال في  
هود: ﴿قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصْلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ۖ﴾.

وقال عن يعقوب في البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ  
لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۖ﴾.

وقال عن موسى في البقرة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ  
الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۖ، وقال في آل عمران: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ  
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ، وقال  
في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا  
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۖ، وقال: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ  
فَاتَّوَا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ ۗ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ  
ءَالِهَةٌ ۗ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفِيهِ وَيَسْطَلُّونَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۖ،  
وقال: ﴿وَآتَخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرِيرُ  
أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۗ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۖ، وقال في  
الأنفال: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ

بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٠﴾، وقال: ﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ  
 كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٠١﴾، وقال في التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، وقال في  
 يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا  
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا  
 لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾، وقال في هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠٤﴾ إِلَى  
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٠٥﴾، وقال في  
 إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
 وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٠٦﴾، وقال: ﴿وَقَالَ  
 مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٠٧﴾، وقال في  
 الإسراء: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ  
 دُونِي وَكَيْلًا ﴿١٠٨﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَقَطَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٩﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا  
 أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١١٠﴾،  
 وقال في طه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١١١﴾،  
 وقال في المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١١٢﴾ إِلَى  
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١١٣﴾، وقال في الفرقان: ﴿وَلَقَدْ  
 آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿١١٤﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ  
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿١١٥﴾، وقال في الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ  
 مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١٧﴾، وقال في النمل: ﴿فَلَمَّا  
 جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٨﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٠﴾، وقال في العنكبوت:  
﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي  
الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿١٠١﴾، وقال في غافر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا  
وَسُلْطَنِ مِيزِينَ ﴿١٠٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿١٠٣﴾،  
وقال في الزخرف: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي  
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٠٥﴾، وقال في  
القمر: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿١٠٦﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ  
مُقْتَدِرٍ ﴿١٠٧﴾، وقال في المزمل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ  
فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٠٨﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٠٩﴾، وقال في  
النازعات: ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١١٠﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ ﴿١١١﴾  
وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١١٢﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في يونس: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾، وقال في  
القصص: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا  
سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿١١٤﴾.

وقال عن عيسى في آل عمران: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ نَبَىٰ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١٦﴾، وقال في  
المائدة: ﴿ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ نَبَىٰ وَرَبُّكُمْ ﴿١١٧﴾، وقال: ﴿ وَقَالَ  
الْمَسِيحُ يَنْبِيَّ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ نَبَىٰ وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٨﴾، وقال في التوبة: ﴿ وَقَالَتْ

الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكُ قَوْلُهُمْ بِأَقْوَاهِمُ  
يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ ﴿٢٤﴾ أَخَذُوا  
أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ وقال في مريم:  
﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
﴿٢٦﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وقال في الزخرف:  
﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي  
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ  
مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ وقال في الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ  
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ  
أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾

وقال عن سليمان في سورة النمل: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وقال عن إلياس في الصافات: ﴿ وَإِنَّ  
إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا  
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٣٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾

وقال عن يونس في الصافات: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿٣٧﴾  
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٨﴾

وقال عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ  
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا  
يَشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾ يَبْصُرِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤١﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقد ختم الله الرسالات برسالة نبينا محمد ﷺ إلى الجن والإنس، فدلَّ أمته على كل خير، وحذرها من كل شرٍّ، وأعظم شيء دعاها إليه إفراد الله بالعبادة، وأعظم شيء نهاها عنه أن يُشرك معه أحد في العبادة، وقد أعلن ذلك أول ما بعثه الله بقوله ﷺ: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح (١٦٦٠٣)، وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة في دعوته إلى التوحيد وتحذيره من الشرك، وآيات كثيرة في ردِّ قومه عليه، وأتهم باقون على ملة آبائهم، فمن الآيات في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك قوله عزَّ وجلَّ في البقرة: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبَادُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾، وقد ابتدئت الآية الأولى بالأمر بعبادة الله وحده، وختمت الآية الثانية بالنهي عن الشرك، وقوله في آل عمران: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾، وقوله في الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٩﴾، وقال في الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا



مَتِّمٌ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كٰذٰبٌ ﴿٢٤﴾ اَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّحِدًا ط اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٢٤﴾.

ولما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ يعوده وعنده رجلان، فقال له: يا عم! قل لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجُّ لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟! فكان آخر ما قال: على ملّة عبد المطلب « رواه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) ».

وقد تبين بهذه الآيات الكثيرة الدالّة إجمالاً وتفصيلاً على دعوة الرسل أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة أنّ الواجب الاهتمام والعناية بالدعوة إلى توحيد الألوهية، اقتداءً برسول الله الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ لأنّ التوحيد الذي خلق الله الخلق لأمرهم به ونهيه عن صرف العبادة لأحد سواه، وهو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ولا يجوز التشاغل عنه بالاهتمام والعناية بتقرير توحيد الربوبية؛ لأنّ ذلك مركز في الفطر ولم تُنكره الأمم، بل هي مقرّة به، ولم يُدخلهم إقرارهم به في الإسلام، ومن الآثار السيئة المترتبة على اشتغال كثير من المنتسبين إلى العلم بتقرير توحيد الربوبية وعدم عنايتهم بتقرير توحيد الألوهية، ما ابتلي به كثير من الناس في مختلف البلاد الإسلامية من الافتتان بالقبور والبناء عليها واتخاذها مساجد، وما يحصل من كثير من الناس من دعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وغير ذلك ممّا لا يجوز أن يُطلب من غير الله.

ومن باب أولى ما يفعله بعض الناس من التشاغل عن تقرير توحيد الألوهية ودعوة المسلمين إلى إخلاص العبادة لله وحده وتحذيرهم من الشرك الذي ابتلي به المفتونون بالقبور، وذلك باشتغالهم بتقرير إثبات وجود الله بغية

إقناع الشيوعيين؛ فإنَّ هذا وإن كان مطلوباً في الجملة، إلاَّ أنَّه لا يجوز أن يكون على حساب إهمال المحافظة على سلامة عقائد المسلمين، فإنَّ المحافظة على رأس المال مقدَّمةٌ على البحث عن الرِّبح، ومثل من يكون كذلك كالذي يُحاول أن يعمرَ قصرًا وهو يهدم مصرًا، وكالذي يُحاول أن يصيد الطير في الهواء وهو لم يحافظ على ما في حوزته من الطيور، وأوَّل شيء عمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته أنَّه صرف همَّته إلى إصلاح الخلل الداخلي الذي حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من حصول الرِّدة من بعض المسلمين ومنعهم الزكاة، ثم بعد ذلك اتَّجه إلى إرسال الجيوش لغزو الفرس وغيرهم.

\*\*\*

## الفصل الرابع:

في تحريم البناء على القبور وأثخاذها مساجد وما يُفضي إليه من  
الشرك بدعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات  
وكشف الكريات، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله.

الشرك بالله عبادة غير الله معه، وهو أعظمُ ذنب عَصِيَ اللهُ به، وهو الذنب  
الذي لا يغفره الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ  
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في آيتين من سورة النساء، وهو الذنب الذي يُخلد صاحبه في  
النار أبد الأبد، ولا سبيل له للخروج منها، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ  
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ  
جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ  
كَافِرٍ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ  
جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِعَاقِبَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ  
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ  
يَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وفي صحيح  
البخاري (٤٧٦١) ومسلم (١٤١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت  
رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»  
الحديث.

وقد كثرت نصوص الكتاب والسنة في النهي عن الشرك والتحذير منه  
وبيان خطره، بل جاءت النصوص في سدِّ الذرائع التي تؤدِّي إليه، من ذلك

البناء على القبور وتعظيمها واتخاذها مساجد، وقد تواترت الأحاديث في ذلك عن رسول الله ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين (٣/١٥١) في الوجوه التسعة والتسعين التي أوردها في سدّ الذرائع قال: «الوجه الثالث عشر: أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تخصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شدّ الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها، وحرّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سداً للذريعة».

ومن أبواب كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك»، و«باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصيرها أوثاناً تُعبُد من دون الله»، و«باب ما جاء أن سبّ كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين»، و«باب ما جاء من التغليظ فيمن عبّد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبّده؟!»، وقد أورد آيات وأحاديث وأثاراً في ذلك، كما هي طريقته رحمه الله في هذا الكتاب.

ومن الأحاديث الواردة في تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد وغير ذلك ممّا هو وسيلة إلى الشرك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي الهيثج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمستّه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتّه»، وفي لفظ: «ولا صورة إلا طمستّها».

وفي الصحيحين من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: «لما نُزل

برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد، يُحذِّرُ ما صنعوا».

وقولها ﷺ في الحديث: « لَمَّا نُزِلَ » يَعْنِيَانِ الْمَوْتَ، وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُور:

الأمر الأول: الدعاء على اليهود والنصارى باللَّعْنِ.

الأمر الثاني: بيان سبب اللَّعْنِ، وهو اتِّخَاذُ قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ.

والأمر الثالث: بيان الغرض من ذكر ذلك، وهو تحذيرُ هذه الأُمَّة من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى، فيستحقُّوا اللَّعْنَةَ، قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٥٣٢/١) فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ: « وَكَأَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّهُ مَرْتَحِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ، فَخَافَ أَنْ يُعْظَمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مَنْ مَضَى، فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ فَعْلَهُمْ ».

وَبُثِّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسِينَ، وَهُوَ يَقُولُ: « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ ».

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الرَّبِيعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »، وَبُثِّتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَصَفَ الَّذِينَ يَبْنُونَ الْمَسَاجِدَ عَلَى الْقُبُورِ بِأَنَّهُمْ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ.

وقد ذكر هذه الأحاديث وغيرها الشوكاني في كتابه شرح الصدور، ويأتي تخرجها حيث ذكرها.

وهذه الأحاديثُ الثابتة عن رسول الله ﷺ اشتملت على التحذير من اتخاذ القبور مساجد مطلقاً، وبعضها يُفيد حصول ذلك منه قبل أن يموت بخمس، وبعضها يُفيد حصول ذلك عند نزول الموت به، وفي ذلك أوضح دليل على أن هذا الحكم محكم غير منسوخ؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك ولم يعش بعده، حتى يكون هناك مجال للنسخ.

والتحذير من ذلك جاء على صيغ متعددة، فجاء بصيغة الدعاء باللَّعنة على اليهود والنصارى، وجاء بصيغة الدعاء بمقاتلة الله لليهود، وجاء بوصف فاعلي ذلك بأنهم شرارُ الخلق عند الله، وجاء بصيغة « لا » الناهية في قوله: « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد »، وبصيغة لفظ النهي بقوله: « إني أنهاكم عن ذلك ».

وهذا من كمال نُصحه لأُمَّته ﷺ، وحرصه على نجاتها وشفقته عليها، صلى الله وسلم وبارك عليه، وجزاه أوفى الجزاء، وأثابه أتمّ مثوبة.

وأتخذ القبور مساجد يشمل بناء المسجد على القبر، كما قال ﷺ في النصارى: « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله »، وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويشمل قصدها واستقبالها في الصلاة، كما قال ﷺ: « لا تجلسوا على القبور، ولا تصلُّوا إليها »، أخرجه مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه. ويشمل السجود على القبر من باب أولى؛ إذ هو أخص من الصلاة إليه.

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٧/٨) في ترجمة عبد الله بن لهيعة أن  
الدفن في البيوت من خصائص النبي ﷺ.

أقول: وأما دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في حجرة عائشة رضي الله عنها، فإنما جاء تبعاً  
لرسول الله ﷺ، ومن فضل الله عز وجل على هذين الرجلين العظيمين أن  
جعلهما رفيقي رسول الله ﷺ الملازمين له في الدنيا، وجاريه في القبر، وبعد  
البعث والنشور يكونان معه في الجنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو  
الفضل العظيم.

وأورد ابن كثير في البداية والنهاية ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد  
القرشبية الهاشمية في حوادث سنة (٢٠٨هـ)، ونقل عن ابن خلكان أنه قال: «  
ولأهل مصر فيها اعتقاد»، ثم قال ابن كثير: «وإلى الآن قد بالغ العامة في  
اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها  
عبارات بشعة، فيها مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظاً كثيرة ينبغي أن  
يعرفوا أنها لا تجوز...»، إلى أن قال: «... والذي ينبغي أن يُعتقد فيها: ما يليق  
بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور  
وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشّر  
حرام...».

وكانت وفاة ابن كثير رحمته الله سنة (٧٧٤هـ).

ولا يجوز أن يُصلى في المساجد التي بُنيت على قبور، والواجب هدم  
المسجد الذي بُني على القبر إذا كان القبر هو السابق، وإن كان الميت دُفن في  
المسجد فيجب نبشه وإخراجه من المسجد، وأما مسجد نبينا محمد ﷺ ففضله  
ثابت والصلاة فيه مضاعفة، وهي خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا

المسجد الحرام، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، سواء في ذلك ما كان قبل دخول القبر أو بعد دخوله.

وليس لأحد أن يتعلّق بوجود قبره ﷺ في مسجده لتجوز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد؛ لأنّ النبيّ ﷺ هو الذي بنى مسجده ﷺ، وبنى بجواره بيوت أزواجه خارجاً منه، وبعد موته ﷺ دُفن في بيت عائشة، وقد بقيت البيوت على ما هي عليه خارج المسجد في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعهد معاوية رضي الله عنه، وفي عهد خلفاء آخرين من خلفاء بني أمية وفي أثناء عهد بني أمية وُسّع المسجد وأدخل القبر فيه، وقد مرّ ذكر جملة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في التحذير من بناء المساجد على القبور، وهي أحاديث محكمة، منها ما قاله ﷺ قبل موته بخمس، ومنها ما قاله في لحظاته الأخيرة ﷺ، فلا يجوز ترك هذه الأحاديث المحكمة والتعويل على عمل حصل في أثناء عهد بني أمية.

\*\*\*

## الفصل الخامس:

حكم دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، ومتى يُحكم على مَنْ دعاهم واستغاث بهم بالكفر؟

البناء على القبور واتخاذها مساجد من البدع المحرّمة التي تؤدّي إلى الشرك والكفر بالله، وأمّا دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، فهو شرك أكبر مُخرَج من الملة، ويُقال لهذا الفعل: شرك وكفر، ولا يُقال لكلّ من فعل ذلك إنّه مشرك كافر؛ فإنّ من فعل ذلك وهو جاهل معذورٌ لجهله حتى تُقام عليه الحجّة ويفهمها ثمّ يُصرّ على ذلك، فإنّه حينئذٍ يُحكم بكفره وردّته، والفتنة في القبور من الأمور التي يكون فيها لبسٌ عند كثير من الناس، ممّن نشأ في بيئة تعتبر تعظيم القبور ودعاء أصحابها من محبة الصالحين، لا سيما إذا كان بينهم أحد من أشباه العلماء الذين يتقدّمونهم في تعظيم القبور والاستغاثة بأصحابها، زاعمين أنّهم وسائل تقرب إلى الله.

والعذرُ بالجهل في مسائل التكفير والتبديع للشخص المعين هو الذي عليه كثيرون من أهل العلم، وهذه نماذج من أقوالهم في ذلك:

١ - قال الإمام الشافعي رحمته الله (٢٠٤هـ): «لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجّة عليه فقد كفر، وأمّا قبل قيام الحجّة فإنّه يُعذرُ بالجهل؛ لأنّ علم ذلك لا يُدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فثبت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾». فتح الباري (١٣/٤٠٧).

٢- وقال أبو بكر بن العربي رحمته الله (٥٤٣هـ): «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يُعذر بالجهل والخطأ حتى تبيّن له الحجّة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً، ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، ممّا أجمعوا عليه إجماعاً جليّاً قطعياً يعرفه كلُّ من المسلمين من غير نظر وتأمل». محاسن التأويل للقاسمي (١٣٠٧/٥ - ١٣٠٨).

٣- وقال ابن قدامة رحمته الله (٦٢٠هـ): «وكذلك كلُّ جاهل بشيءٍ يُمكن أن يجهله، لا يُحكّم بكفره حتى يعرف ذلك وتزول عنه الشبهة ويستحلّه بعد ذلك». المغني (٢٧٧/١٢).

٤- وقال النووي رحمته الله (٦٧٦هـ): «وكذلك الأمر في كلِّ من أنكر شيئاً ممّا أجمعت الأمة عليه من أمور الدين، إذا كان علمه منتشرّاً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاعتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم، ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر». شرح صحيح مسلم (٢٠٥/١).

٥- وقال ابن تيمية رحمته الله (٧٢٨هـ) في مجموع الفتاوى (٥٢٣/١٢) - (٥٢٤): «من كان مؤمناً بالله ورسوله مطلقاً ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب، فإنه لا يُحكّم بكفره حتى تقوم عليه الحجّة التي من خالفها كفر؛ إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً ممّا يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان».

وقال أيضاً (٥٠١/١٢): «فليس لأحد أن يكفّر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تُقام عليه الحجّة، وتبين له المحجّة، ومن ثبت إيمانه بيقين، لم

يُزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة».

وقال أيضاً (٦١٩/٧): « والتحقق في هذا أن القول قد يكون كفرًا: كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة».

وقال أيضاً في الرد على البكري (ص: ٢٥٨ - ٢٦٠): « فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجّة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر».

إلى أن قال: « وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله: (إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله! لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البرّ فردّ ما أخذ منه، وأمر البحر فردّ ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك يا ربّ! فغفر له)، فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يُعيده أو جوّز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحقُّ بيانياً يكفر بمخالفته فغفر الله له».

٦ - وقال ابن القيم رحمته الله (٧٥١هـ) في طريق المهجرتين (ص: ٥٤٦): « إن

العذاب يُستحقُّ بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأمّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

٧- وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله (١٢٠٦ هـ): «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنّا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنّا نكفر من لم يكفر ومن لم يُقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكلُّ هذا من الكذب والبهتان الذي يصدّون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنّا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من يُبهِهم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يُهاجر إلينا، أو لم يكفر ويُقاتل، سبحانه هذا بهتان عظيم.» الدرر السنية (١/٦٦).

وقد ذكرتُ في أثناء شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، للشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمته الله كلاماً يتعلّق بهذا الموضوع أنقله هنا:

[وقوله: ومعنى (التحيات): جميع التعظييات لله ملكاً واستحقاقاً، مثل الانحناء، والركوع، والسجود، والبقاء، والدوام، وجميع ما يعظم به رب العالمين فهو لله، فمن صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر].

العبادة حق الله كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الْطَغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فيجب صرف جميع أنواع العبادة لله، ولا يجوز صرف شيء منها لغيره تعالى، فالصلاة لله، والركوع والسجود لله،

والاستغاثة بالله، والدعاء لله والتوكل على الله، والاستعاذة بالله، وهكذا جميع أنواع العبادة لله، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأنعام: ١٦٦-١٦٧]، ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فهو مشرك كافر، وهذا الحكم إنما هو على الإطلاق وعلى من بلغته الحجة، وأما الشخص المعين فإذا حصل منه صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء الأموات والاستغاثة بهم، وهو جاهل فإنه يتوقف في تكفيره حتى يبيّن له وتقام عليه الحجة، وهذا أحد قولين في المسألة، ذكرهما شيخنا عبد العزيز بن باز رحمته الله في جواب سؤال عن بعض أهل البدع، جاء فيه: «كذلك التوسل بالأولياء قسماً: (الأول): التوسل بجاه فلان أو حق فلان، هذا بدعة وليس كفراً. التوسل الثاني: هو دعاؤه بقوله: يا سيدي فلان انصرتني أو اشف مريضتي، هذا هو الشرك الأكبر وهذا يسمونه توسلاً أيضاً، وهذا من عمل الجاهلية، أما الأول فهو بدعة، ومن وسائل الشرك، قيل له: وقولهم: إنما ندعوه لأنه ولي صالح وكل شيء بيد الله وهذا واسطة. قال: هذا عمل المشركين الأولين، فقولهم: مدد يا بدوي، مدد يا حسين، هذا جنس عمل أبي جهل وأشباهه، لأنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَتُوَلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا الدعاء كفر وشرك بالله عز وجل، لكن اختلف العلماء هل يكفر صاحبه أم ينتظر حتى تقام عليه الحجة وحتى يبيّن له، على قولين: أحدهما: أن من قال هذا يكون كافراً كفراً أكبر لأن هذا شرك ظاهر لا تخفى أدلته، والقول الثاني: أن هؤلاء قد يدخلون في الجهل وعندهم علماء سوء أضلّوهم، فلا بد أن يبين لهم الأمر ويوضح لهم الأمر حيث يتضح لهم، فإن الله قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، فإذا وضح لهم الأمر وقال لهم: هذا لا يجوز، قال الله كذا وقال الرسول كذا، بين لهم الأدلة، ثم أصروا على حالهم، كفروا بهذا، وفي

كل حال فالفعل نفسه كفر شرك أكبر، لكن صاحبه هو محل نظر هل يكفر أم يقال: أمره إلى الله، قد يكون من أهل الفترة لأنه ما بين له الأمر فيكون حكمه حكم أهل الفترات، أمره إلى الله عز وجل، لأنه بسبب تلبس الناس عليه من علماء السوء» انتهى. نقلاً من كتاب (سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين) لسيد بن سعد الدين الغباشي، وفي أول الكتاب رسالة من الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله للمؤلف بتاريخ: ٧/٥/١٤٠٣ هـ، تتضمن إقرار الكتاب والإذن بطبعه.

والقول الثاني من القولين وهو التوقف في التكفير، قرره كثيرون من العلماء، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتاب الاستغاثة (٢/٧٣١): «فإننا بعد معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأُمَّته أن تدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا غيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرها، كما أنه لم يشرع لأُمَّته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بأثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ، مما يخالفه، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفتن، وقال: هذا أصل الدين، وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينته لنا، لعلمه بأن هذا أصل الدين».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاقل، سبحانه هذا بهتان عظيم». الدرر السنية

(١/٦٦)، وقال أيضاً: «بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك». مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/٣٤)، وقال أيضاً: «ما ذكر لكم عني أني أكفر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت، ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنه دين المشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً». مجموع مؤلفات الشيخ (٣/٣٣).

وقال أيضاً: «وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاتة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون به تغيير الناس عن دين الله ورسوله». مجموع مؤلفات الشيخ (٣/١٤).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب (منهاج التأسيس والتقديس ص: ٩٨-٩٩): «والشيخ محمد ﷺ من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها، قال في بعض رسائله: «وإذا كنا لا نقاتل من يعبد قبة الكواز، حتى نتقدم بدعوته إلى إخلاص الدين لله، فكيف نكفر من لم يهاجر إلينا وإن كان مؤمناً موحداً». وقال: وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال، فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفة ما يكفر بعبادة القبور».

وقال أيضاً ﷺ في (مصباح الظلام ص: ٤٩٩): «فمن بلغته دعوة

الرسول إلى توحيد الله ووجوب الإسلام له، وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله، وهذا هو الذي يجزم بتكفيره إذا عبد غير الله، وجعل معه الأنداد والآلهة، والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا، وشيخنا رحمته الله قد قرّر هذا وبينه وفاقاً لعلماء الأمة واقتداء بهم ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل حتى إنه رحمته الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور إذا لم يتيسر له من ينبهه، وهذا هو المراد بقول الشيخ ابن تيمية رحمته الله: حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا حصل البيان الذي يفهمه المخاطب ويعقله فقد تبين له». وقال أيضاً في (مصباح الظلام ص: ٥١٦): «وشيخنا رحمته الله لم يكفر أحداً ابتداءً بمجرد فعله وشركه، بل يتوقف في ذلك حتى يعلم قيام الحجة التي يكفر تاركها، وهذا صريح في كلامه في غير موضع، ورسائله في ذلك معروفة».

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في الشرح الممتع (١٩٤/٦): «لكن من كان جاهلاً ولم يكن عنده أي شبهة ويعتقد أن ما هو عليه حق أو يقول هذا على أنه الحق فهذا لا شك أنه لا يريد المخالفة ولم يرد المعصية والكفر، فلا يمكن أن نكفره حتى ولو كان جاهلاً في أصل من أصول الدين، فالإيمان بالزكاة وفريضة أصل من أصول الدين، ومع ذلك لا يكفر الجاهل، وبناء على هذا يتبين حال كثير من المسلمين في بعض الأقطار الإسلامية الذين يستغيثون بالأموال وهم لا يعلمون أن هذا حرام، بل قد لبس عليهم أن هذا ممن يقرب إلى الله، وأن هذا أمر الله، وهم مقتفون للإسلام وغيورون عليه، ويعتقدون أن ما يفعلونه من الإسلام، ولم يأت أحدٌ ينههم، فهؤلاء معذورون، لا يؤاخذون مؤاخذاً المعاند الذي قال له العلماء: هذا شرك، فيقول: هذا ما وجدت عليه آبائي وأجدادي، فإن حكم هذا الأخير حكم من قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾».

وإنما أفضت بذكر النقول عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في تقرير هذه المسألة، وهي أن تكفير المعين الذي وقع في الشرك في العبادة لجهله، إنما يكون بعد البيان له وإقامة الحجة، لا قبل ذلك، لأن من الجاهلين والحاقدين عليه وعلى دعوته، المبنية على الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، من يشنع عليه وينفر من دعوته، برميته بتكفير المسلمين، والتكفير بالعموم، وهو إنما يكفر من قامت عليه الحجة، وبانت له المحجة، ولأن نفراً يسيراً من طلبة العلم من أهل السنة فيما علمت يعيرون على من يقرّر ذلك وهو عيب لما قرّره شيخا الإسلام، ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما من أهل العلم، ومع ذلك فإن الخطأ في العفو في الأمور المشتبهة، خير من الخطأ في العقوبة، وهم في عيهم القول الذي قرّره الشيخان والحرص على خلافه يفسحون المجال للمتربصين بأهل السنة الذين يصطادون في الماء العكر، فيردّون صدى نعيق أعداء الإسلام والمسلمين، الذين يزعمون أن تطرف من ابتلي بالتفجير والتدمير، راجع إلى دراسة مناهج التعليم المبنية على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل السنة، وهو بهت وزور ممن افتراه أو ردّه، فإن الذين ردّوا هذا النعيق من أهل هذه البلاد، قد درسوا كما درس غيرهم هذه المناهج، ولم يحصل لهم ضرر منها بل حصل النفع العظيم منها لكل من شاء الله هدايته وتوفيقه، وإنما حصل التطرف من هؤلاء المتطرفين لفهومهم الخاطئة التي شدّوا بها وخرجوا عن جماعة المسلمين، وقدوتهم في ذلك الخوارج الذين شدّوا وخرجوا على الصحابة نتيجة لفهومهم الخاطئة، ولكل قوم وارث].

وهذا آخر التقديم لكتّابي تطهير الاعتقاد وشرح الصدور للإمامين الصنعاني والشوكاني، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# تَطْهِيرُ الْأَعْتِقَالِ

سَن

الرَّابِعَةَ لِهَيْسَاءَ

تَأَلَّفَتْ

إِلَامَ لِعَلَّةِ الْأَمِيرِ

مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْيَمَنِيِّ الصَّنَعَائِيِّ

١١٨٢ - ١٠٩٩

هذه الطبعة مبنية على طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، بدون ذكر تاريخ الطبع، بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمته الله، وقد أثبت تعليقاته، وعلامتها كتابة (إسماعيل) بعدها، وقد قابلها على نسخة خطية.

obeikandi.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[قال الإمام العلامة الحبر الفهامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمته الله تعالى] <sup>(١)</sup>.

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يُفردوه بتوحيد العبادة كل الأفراد، فلا يتخذون له ندًا، ولا يدعون معه أحدًا، ولا يتكلمون إلا عليه، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؟

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك <sup>(٢)</sup> له ربًّا ومعبودًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي أمره أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، وكفى بالله شهيدًا، صلى الله عليه وعلى آله <sup>(٣)</sup> والتابعين له في السلامة من العيوب وتطهير القلوب، عن اعتقاد كل شين يشوب <sup>(٤)</sup>.

وبعد:

فهذا (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) وجب عليّ تأليفه، وتعيّن عليّ

(١) ما بين القوسين من خ.

(٢) لفظ: (وحده لا شريك له) من خ.

(٣) لم يذكر هنا الصلاة على الصحابة مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والآل، فلعلّ المراد بآله أهل دينه، فيدخل أهل بيته وأصحابه وغيرهم، وقد ختم الكتاب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والآل والأصحاب.

(٤) اشتملت خطبة الكتاب على عبارات تدلّ على موضوع الكتاب، وهو أفراد الله بالعبادة والتحذير من فتنة القبور والمغلاة في أهلها ودعائهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله، ويُسمى اشتغال الخطب في الكتب أو غيرها على موضوعات الكتب وغيرها براءة الاستهلال.

ترصيفه؛ لما رأيتَه وعلمته يقيناً<sup>(١)</sup> من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام. وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات، وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يرى لله راعياً ولا ساجداً، ولا يعرف السنّة ولا الكتاب، ولا يهاب البعث ولا الحساب.

فوجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتُمون ما أوجب الله إظهاره<sup>(٢)</sup>.  
فاعلم أن ههنا أصولاً هي من قواعد الدين، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحّدين:

(١) لفظ: (يقيناً) من خ.

(٢) هذا من المؤلف بيان سبب تأليفه الكتاب، و«نجد» فيه المراد بها الأماكن المرتفعة، وهو ما يُقابل «تهامة»، وهي الأماكن المنخفضة.

## الأصل الأول

أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ ضَرُورَةِ الدِّينِ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ لَا بَاطِلَ، وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ، وَهَدَى لَا ضَلَالَةَ، وَعِلْمٌ لَا جَهَالَتهَ، وَيَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ. فِهَذَا الْأَصْلُ أَصْلٌ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ أَحَدٍ وَلَا إِيمَانُهُ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِهِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لَا خِلَافَ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

## الأصل الثاني

أَنَّ رَسَلَ اللَّهِ وَأَنْبِيَاءَهُ - مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ - بُعِثُوا لِدَعَاءِ الْعِبَادِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، فَكُلُّ رَسُولٍ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ بِهِ أَسْمَاعَ قَوْمِهِ قَوْلُهُ: ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾، وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

فَإِنَّمَا دَعَتِ الرُّسُلُ أُمَّهَاتُهَا إِلَى قَوْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَاعْتِقَادِ مَعْنَاهَا، لَا مَجْرَدَ قَوْلِهَا بِاللِّسَانِ، وَمَعْنَاهَا: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَالنَّفْيُ لِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالْبِرَاءَةُ مِنْهُ، وَهَذَا الْأَصْلُ لَا مَرِيَّةَ فِيهَا تَضَمَّنَهُ، وَلَا شَكَّ فِيهِ، وَفِي أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيمَانُ أَحَدٍ حَتَّى يَعْلَمَهُ وَيُحَقِّقَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) وَكَذَلِكَ يَجِبُ التَّصَدِيقُ وَالْعَمَلُ بِمَا ثَبَّتَتْ بِهِ السَّنَّةُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهَا وَحْيٌ مِنْ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وَلِدُخُولِ السَّنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

(٢) وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَصْلِ الثَّلَاثِ مِنَ الْمَقْدَمَةِ ذِكْرُ مَا جَاءَ عَنِ الرُّسُلِ مِنَ الْآيَاتِ فِي ذَلِكَ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَذَكَرَ مَا أَجَابَتْهُمْ بِهِ أَعْمَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

## الأصل الثالث

أن التوحيد قسمان:

القسم الأول:

توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الربُّ لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مُقرُّون به، كما سيأتي في الأصل الرابع.

والقسم الثاني:

توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يُشعر بالإقرار بالله تعالى.

فالرسل عليهم السلام بُعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني، مثل قولهم في خطاب المشركين: [١٤ : ١٠] <sup>(١)</sup> ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾، [٣٥ : ٣] ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَمَرُ اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ونهيهم عن شرك العبادة، ولذا قال الله تعالى: [١٦ : ٣٦] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصِّغُورَ ﴾، أي: قائلين لأممهم أن اعبدوا الله، فأفاد بقوله: ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أن جميع الأمم لم تُرسل إليهم الرسل وتُبعث <sup>(٢)</sup> إلا لطلب توحيد العبادة، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم، وأنه ربُّ السموات والأرض، فإنهم مقرُّون بهذا.

(١) الرقم الأول رقم السورة، والثاني الآية في السورة (إسماعيل).

(٢) لفظ: (وتبعث) من خ.

ولهذا لم ترد الآيات فيه - في الغالب - إلا بصيغة استفهام التقرير، نحو:  
 [٣٥: ٣] ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾؟ [١٦: ٧] ﴿ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾؟  
 [١٤: ١٠] ﴿ أَمْ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾؟ [٦: ١٤] ﴿ أَمْ غَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ  
 وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾؟ [٣١: ١١] ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ  
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾؟ [٤٦: ٤] ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
 السَّمَوَاتِ ﴾؟ استفهام تقرير لهم لأنهم به مقررون.

وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان<sup>(١)</sup> ولم يعبدوها، ولم  
 يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء الله تعالى، لأجل أنهم  
 أشركوهم في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم؛ بل اتخذوهم لأنهم  
 يقربونهم<sup>(٢)</sup> إلى الله زلفى، كما قالوه، فهم مقررون بالله في نفس كلمات كفرهم،  
 وأتهم شفعاء عند الله، قال الله تعالى: [١٠: ١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ  
 بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فجعل  
 الله تعالى اتخذهم للشفعاء شركاء، ونزّه نفسه عنه؛ لأنه لا يشفع عنده أحد إلا  
 بإذنه، فكيف يُثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها، ولا  
 يغنون عنهم من الله شيئاً؟!<sup>(٣)</sup>

(١) الصنم: ما كان منحوتاً على صورة، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك، وقد  
 يُسمّى الصنم وثناً (إسماعيل).

(٢) أي: يزعمون أنهم يقربونهم (إسماعيل).

(٣) وقد تقدّم في الفصل الثاني من المقدمة بيان أقسام التوحيد بالاستقراء لنصوص  
 الكتاب والسنة، وأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، والمعنى أن من أقرّ  
 بالربوبية يلزمه أن يقرّ بالألوهية، وأن توحيد الألوهية متضمّن لتوحيد الربوبية،  
 والمعنى أن من عبّد الله وحده فهو مقرّ بأن الله هو الخالق وحده المحيي المميت وحده.

## الأصل الرابع

أَنَّ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ الرَّسَلَ إِلَيْهِمْ مَقْرُونُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالَقُهُمْ [٤٣: ٤٣]:  
 [٨٧] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ [٤٣: ٩] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ  
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، وَأَنَّهُ الرَّزَاقُ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ،  
 وَأَنَّهُ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ السَّمْعَ  
 وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتِدَةَ، [١٠: ٣١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ  
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ  
 الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، [٢٣: ٨٤-٨٩] ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ  
 فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ  
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿قُلْ  
 مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَوَتْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ  
 لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾؟<sup>(١)</sup>

وهذا فرعونُ مع غلَّوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة  
 الشنعاء، يقول الله في حقه حاكياً عن موسى عليه السلام: [١٧: ١٠٢] ﴿لَقَدْ  
 عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾، وقال إبليس: [٥٩: ٥٩]:  
 [١٦] ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال: [١٧: ٣٩] ﴿رَبِّ جَمًّا أَغْوَيْتَنِي﴾،  
 وقال: [١٥: ٣٦] ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾، وكلُّ مشركٍ مُقِرٌّ بأنَّ الله خالقه وخالق

(١) فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك (إسماعيل).

السموات والأرض وربُّهن<sup>(١)</sup> وربُّ ما فيهنَّ ورازقهنَّ، ولهذا احتجَّ عليهم الرسل بقولهم: [١٦: ١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، وبقولهم: [٢٢: ٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾، والمشركون مقرُّون بذلك ولا ينكرونه.

### الأصل الخامس

أنَّ العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تُستعمل إلا في الخضوع لله؛ لأنَّه مُولي أعظم النعم، وكان لذلك حقيقةً بأقصى غاية الخضوع، كما في (الكشاف)<sup>(٢)</sup>.

ثمَّ إنَّ رأس العبادة وأساسها التوحيدُ لله الذي تفيدته كلمته التي إليها دعت جميع الرسل، وهي قول (لا إله إلا الله)، والمراد اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: أفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كلِّ معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنَّهم أهل اللسان العربي، فقالوا: [٥: ٣٨] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.



(١) لفظ: (هنن) في كلمة (ربهنن)، وفي كلمة (فيهنن) من خ، وعبارة المطبوعة (وربها ورب ما فيها) (إسماعيل).

(٢) في تفسير الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (إسماعيل).

## فصل

إذا عرفتَ هذه الأصول فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً: اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن يعتقد أنه الربُّ الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، ويده النفع والضرر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك من لوازم الإلهية.

ومنها لفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، وكان كإبليس، فإنه يعتقد التوحيد، بل ويُقرُّ به كما أسلفناه عنه، إلا أنه لم يمثّل أمر الله بالسجود<sup>(١)</sup> فكفر، ومن نطق بها<sup>(٢)</sup> ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها.

وإذا تقرّرت هذه الأمور، فاعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى أفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرّون بذلك، كما قرّرناه وكرّرناه، ولذا قالوا [٧: ٦٩] ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾، أي: لنفردّه بالعبادة ونخصّه بها من دون آلهتنا، فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم أفراد العبادة لله، ولم ينكروا الله

(١) لفظ: (بالسجود) من خ.

(٢) لفظ: (بها) من خ.

تعالى، ولا قالوا إنه لا يُعبد، بل أقرُّوا بأنه يُعبد، وأنكروا كونه يُفردُ بالعبادة، فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا معه أنداداً، كما قال تعالى: [٢٢: ٢] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: وأنتم تعلمون أنه لا ندُّ له، وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج: « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك »، وكان يسمعهم النبي ﷺ عند قولهم « لا شريك لك » فيقول: « قد قد »<sup>(١)</sup> أي<sup>(٢)</sup>: أفردوه جلَّ جلاله لو تركوا قولهم: « إلا شريكاً هو لك »، فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى.

كما قال تعالى: [٢٢: ٦] ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، [٧: ١٩٥] ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾، فنفس اتخاذ الشركاء إقراراً بالله تعالى، ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم؛ إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم لديه<sup>(٣)</sup>.

فأرسل الله الرسل تأمرهم<sup>(٤)</sup> بترك عبادة كل ما سواه، وتبيُّن أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، وأن التقرب إليهم باطل، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده، وهذا هو توحيد العبادة، وقد كانوا مقرِّين - كما عرفت في الأصل الرابع - بتوحيد الربوبية، وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده.

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥).

(٢) (قد) الثانية، ولفظ (أي) من خ، وقد حصل خلل في المطبوعة بسقوطها (إسماعيل).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقوله في سورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

(٤) لفظ: (هم) في (تأمرهم) من خ.

ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح عليه السلام<sup>(١)</sup>، إلى آخرهم وهو محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup> ﷺ، هو توحيد العبادة، ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد، ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد، وهي في الأصل صور رجال صالحين كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم، فلما هلكوا صوروا صورهم تسليةً بها، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، ثم زاد الأمد طويلاً فعبدوا الأحجار، ومنهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد الكواكب، ويهتف بها عند الشدائد، فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بأن يفردوه بالعبادة كما أفرده بالربوبية، بربوبيته للسموات والأرض، وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة (لا إله إلا الله)، معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها، وأن لا يدعوا مع الله أحداً، وقال تعالى: [١٣: ١٤] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾.

(١) قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وفي حديث الشفاعة يقول أهل الموقف: «يا نوح، أنت أول رسول إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً» رواه البخاري (٣٣٤٠)، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾، فعموم هذه الآية يدل على أن من قبل نوح أرسل فيهم رسل، وأولهم آدم، ويجمع بين ذلك بأن الناس قبل نوح كانوا على الفطرة، وما جاءت به الرسل مطابق للفطرة، وأمّا نوح فقد أرسل بعد أن وجد الشرك وخرج الناس عن الفطرة، فتكون أوليته بهذا الاعتبار، وانظر أضواء البيان لشيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عند قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

(٢) قوله: (ابن عبد الله) من خ.

وقال تعالى: [٥: ٢٢] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي: من شرط الصدق في الإيمان بالله أن لا يتوكلوا إلا عليه، وأن يُفردوه بالتوكل كما يجب أن يُفردوه بالدعاء والاستغفار، وأمر الله عباده أن يقولوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولا يَصْدُقُ قائلٌ هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى، وإلا كان كاذباً منهيّاً عن أن يقول هذه الكلمة<sup>(١)</sup>؛ إذ معناها: نخصّك بالعبادة ونفردك بها دون كلِّ أحد، وهو معنى قوله: [٢٩: ٥٦] ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾، [٢: ٤١] ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾؛ لما<sup>(٢)</sup> عُرِفَ من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي: لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا<sup>(٣)</sup> غيره، كما في (الكشاف).

فإفراذُ الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتمُّ إلا بأن يكون الدعاءُ كُلُّه له، والنداءُ في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذليلاً لله تعالى، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كُلُّه لا يكون إلا لله عز وجل.

ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حيٍّ أو ميت أو جماد أو غيره، فقد أشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إلهاً لعبديه، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً، وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عبداً لذلك المخلوق مشركاً بالله، وإن أقرَّ بالله وعبده، فإن إقرار

(١) تعبير المصنف بهذا فيه نظر؛ لأنه لا يُنهي عن قوله هذه الكلمة، وإنما يُنهي أن يضاف إليها عبادة غير الله معه.

(٢) (لما) باللام هو لفظ خ، ووقع في المطبوعة (كما) بالكاف (إسماعيل).

(٣) قوله: (إلا الله ولا تتقوا) من خ.

المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل عملاً شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره.

### فصل

إذا تقرّر عندك أنّ المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئاً، وأنّ عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنّهم يضرون وينفعون، وأنّهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنّهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النّحائر، وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذلّلين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم، ومع هذا كلّهم مقرّون لله بالربوبية وآنه الخالق، ولكنّهم لما أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا؛ لأنّه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقرّ لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفردّه بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك فالإقرار باطل.

وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار فقالوا: [٢٦: ٩٧، ٩٨] ﴿تَاللّٰهِ إِن كُنَّا لِنَعْنِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾، مع أنّهم لم يسوّوهم به من كلّ وجه، ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنّهم علموا وهم في قعر جهنّم أنّ خلطهم الإقرار بذرة من ذرّات الإلحاد في توحيد العبادة صيرهم كمن سوّى بين الأصنام وبين رب الأنام.

قال الله تعالى: [١٢: ١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ أي: ما يقرّ أكثرهم في إقراره بالله وبأنّه خلقهم وخلق السموات والأرض إلّا وهو مشركٌ بعبادة الأوثان.

بل سَمَّى الله الرياء في الطاعات شركاً، مع أنَّ فاعلَ الطاعة ما قصد بها إلاَّ الله تعالى، وإنَّما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبدَ الله لا غيره، لكنَّه خَلَطَ عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة وسمَّها شركاً، كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا شَرَكًا، فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشَرَكُهُ»<sup>(١)</sup>، بل سَمَّى الله التسمية بعبد الحارث شركاً، كما قال تعالى: [١٥٩: ٧] ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾، فإنَّه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سَمْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا حَمَلَتْ حَوَاءٌ - وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ - طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَقَالَ: لَا يَعِيشُ لَكَ وَلَدٌ حَتَّى تَسْمِيَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَسَمَّيْتَهُ فِعَاشٌ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَاتَ<sup>(٢)</sup>، وَسَمَّى هَذِهِ التَّسْمِيَةَ شُرَكَاءَ، وَكَانَ إِبْلِيسُ تَسْمِيَهُ بِالْحَارِثِ»، والقصة في الدر المنثور وغيره<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم (٢٩٨٥).

(٢) وهي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾... إلخ، (الأعراف - ١٦٠) (إسماعيل).

(٣) جزم ابن القيم في روضة المحييين (ص: ٢٨٩) طبعة مطبعة السعادة بمصر، بأنَّ المراد باللذين جعلاً له شركاء فيما آتاها المشركون من أولاد آدم وحواء، قال: ولا يُلْتَفَتُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَّا قِيلَ أَنَّ آدَمَ وَحَوَاءَ كَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتُمَا أَنْ يَعِيشَ لَكُمَا وَلَدٌ فَسَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، ففعلًا، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيُشْرِكْ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَأَطَالَ الْكَلَامَ فِي تَعْلِيلِ الرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ آدَمَ وَحَوَاءَ. (إسماعيل)، وانظر: السلسلة الضعيفة (٣٤٢).

## فصل

قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد الشفع به والتوسل به إلى الرب تعالى، إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد ﷺ<sup>(١)</sup> أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره<sup>(٢)</sup>، واعتقد ما لا يحلُّ اعتقاده، كما اعتقده المشركون في الأوثان،

والقول الآخر أن ضمائر التثنية تعود إلى آدم وحواء، وأن ما حصل منهما في التسمية فقط، لا في الطاعة والعبادة، وهو اختيار ابن جرير، قال في تفسيره (٣١٥/١٣) - تحقيق محمود شاكر: « وأولى القولين بالصواب قول من قال: عنى بقوله: ﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ في الاسم لا في العبادة، وأن المعنى بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك »، وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل كتاب التوحيد في باب قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا ﴾.

(١) هو على كل تقدير من قبيل التوسل بالدعاء كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، قال: « حديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني - من التوسل بدعائه - فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك، فقال: بل ادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويقول: اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد! يا رسول الله! إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها، اللهم شفعه في، فهذا التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ ولهذا قال: (شفعه في)، فسأل الله أن يقبل شفاعته رسوله فيه، وهو دعاؤه » (إسماعيل).

(٢) التوسل الذي هو شرك أن يجعل المتوسل به واسطة بينه وبين الله، يدعو ويطلب منه الشفاعة، أمّا إذا سأل الله بجاه فلان مثلاً، فإنه بدعة وليس بشرك، وإذا توسل إلى الله عز وجل بدعاء الداعي فإنه سائغ؛ لثبوت ذلك عن عمر في صحيح البخاري

فضلاً عَمَّنْ يَنْذِرُ بِهَالِهِ وَوَلَدِهِ لَمِيَّتٍ أَوْ حَيٍّ، أَوْ يَطْلُبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَيْتِ مَا لَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحَاجَاتِ، مِنْ عَافِيَةِ مَرِيضِهِ أَوْ قَدُومِ غَائِبِهِ أَوْ نَيْلِهِ لِأَيِّ مَطْلَبٍ مِنَ الْمَطْلَبِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الشَّرْكَ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَ وَيَكُونُ عَلَيْهِ عِبَادُ الْأَصْنَامِ.

وَالنَّذْرُ بِالْمَالِ لِلْمَيْتِ وَنَحْوِهِ، وَالنَّحْرُ عَلَى الْقَبْرِ وَالتَّوَسُّلُ بِهِ وَطَلْبُ الْحَاجَاتِ مِنْهُ، هُوَ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَتْ تَفْعَلُهُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ لِمَا يَسْمُونَهُ وَثَنًا وَصِنْمًا، وَفَعَلَهُ الْقَبُورِيُّونَ لِمَا يَسْمُونَهُ وَلِيًّا وَقَبْرًا وَمَشْهَدًا، وَالْأَسْمَاءُ لَا أَثْرَ لَهَا وَلَا تَغْيِيرَ الْمَعَانِي ضَرُورَةَ لُغَوِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ وَشَرْعِيَّةٍ، فَإِنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَمَّاهَا مَاءً، مَا شَرَبَ إِلَّا خَمْرًا، وَعَقَابُهُ عِقَابُ شَارِبِ الْخَمْرِ، وَلَعَلَّهُ يَزِيدُ عِقَابَهُ لِلتَّدْلِيلِ وَالْكَذْبِ فِي التَّسْمِيَةِ.

وَقَدْ ثَبِتَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَأْتِي قَوْمٌ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ يَسْمُونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا<sup>(١)</sup>، وَصَدَقَ ﷺ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَى طَوَائِفُ مِنَ الْفَسَقَةِ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْمُونَهَا نَبِيذًا.

وَأَوَّلُ مَنْ سَمَّى مَا فِيهِ غَضَبُ اللَّهِ وَعِصْيَانُهُ بِالْأَسْمَاءِ الْمَحْبُوبَةِ عِنْدَ السَّامِعِينَ إِبْلِيسَ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْبَشَرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [٢٠: ١٢٠] ﴿يَتَقَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾، فَسَمَّى الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ

(١٠١٠) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، وَقَدْ تَوَسَّلُوا بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَلَمْ يَطْلُبُوا مِنْهُ دَعَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِ، بَلْ طَلَبُوا مِنَ الْعَبَّاسِ أَنْ يَدْعُو، وَتَوَسَّلُوا بِدَعَائِهِ، وَيَدُلُّ لَهُ أَيْضًا تَوَسُّلُ الْأَعْمَى بِدَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ خَزِيمَةَ وَالتُّطْبَرَانِيَّ وَالحَاكِمَ، انظُرْ: التَّعْلِيقُ عَلَى الْمُسْتَدْرِ (١٧٢٤٠)، وَكِتَابُ التَّوَسُّلِ لِلْأَلْبَانِيِّ (ص: ٦٧).

(١) انظُرْ: السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ لِلْأَلْبَانِيِّ (٨٩)، (٩٠)، (٤١٥).

عن قُربانها شجرة الخُلْد، جذباً لطبعه إليها، وهزاً لنشاطه إلى قُربانها، وتدليساً عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يُسَمِّي إخوانه المقلِّدون له الحشيشة بلُقْمَة الراحة، وكما يُسَمِّي الظَّلْمَة ما يَقْبِضُونَهُ من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً أَدْباً، فيقولون أدب القتل، أدب السرقة، أدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب.

كما يَحْرَفُونَهُ في بعض المقبوضات إلى اسم النفاة، وفي بعضها إلى اسم السياقة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين.

وكلُّ ذلك اسمه عند الله ظلْمٌ وعدوان، كما يعرفه مَنْ شَمَّ رائحة الكتاب والسنة، وكلُّ ذلك مأخوذٌ عن إبليس حيث سَمَّى الشجرة المنهيَّ عنها شجرة الخلد.

وكذلك تسميةُ القبرِ مَشْهَدًا، وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ وِلْيًا، لا تخرجه عن اسم الصَّنمِ والوثن؛ إذ هم مُعَامِلُونَ لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، وَيَسْتَلْمُونَهُمْ<sup>(١)</sup> استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

وكلُّ قوم لهم رَجُلٌ ينادونه.

فأهلُ العراق والهند يَدْعُونَ عبد القادر الجيلي.

وأهل التهائم لهم في كلِّ بلد ميتٌ يهتفون باسمه، يقولون: يا زيلعي! يا ابن

العجيل!

(١) كذا، ولعله (ويستلمونها).

وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس!

وأهل مصر: يا رفاعي! يا بدوي! والسادة البكرية!

وأهل الجبال: يا أبا طير!

وأهل اليمن: يا ابن علوان!

وفي كل قرية أمواتٌ يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير و دفع الضر، وهذا هو بعينه فعلُ المشركين في الأصنام، كما قلنا في الأبيات النجدية<sup>(١)</sup>:

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود، بئس ذلك من وُدِّ  
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصِّمد الفرد  
وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد  
وكم طائف حول القبور مقبلاً ويستلم الأركان منهمن باليد

فإن قال: إننا نحرتُ لله وذكرْتُ اسمَ الله عليه.

فقل: إن كان النَّحْرُ لله فلايُّ شيءٍ قَرَّبْت ما تنحُرُه مِن باب مَشْهَد مَن تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟

إن قال: نعم!

فقل له: هذا النَّحْر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لم تُرد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه؟ أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً، ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك

(١) من قصيدة مدح بها المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأشاد فيها بدعوته (إسماعيل).

إِلَّا قَصْدًا لَهُ، ثُمَّ كَذَلِكَ دَعَاؤُهُمْ لَهُ.

فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب.

وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء، وينادونه في الشدة والرَّخاء، وهو عاكفٌ على القبائح والفضائح، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة، ولا يكتسب حلالاً، ويضُمُّ إلى ذلك دعوى علم الغيب<sup>(١)</sup>، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عَشَّشَ في قلوبهم وباض فيها وفرَّخ، يصدِّقون بهتانه، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا نداً لربِّ العالمين ومثلاً.

فيا للعقول أين ذهبت؟ ويا للشرائع كيف جهلت؟ [٧: ١٥٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾.

فإن قلت: أفصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟

قلت: نعم! قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك، بل زادوا عليهم<sup>(٢)</sup> في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم.

فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركاً!

قلت: نعم! ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك، والله

(١) (دعوى علم الغيب)، وهو لفظ خ، ووقع في المطبوعة: (دعوى التوكل وعلم الغيب) (إسماعيل).

(٢) لفظ (عليهم) من خ.

تعالى يقول: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ ﴾ أي: لا لغيره، كما يفيدُه تقديم الظرف<sup>(١)</sup>، ويقول تعالى: [١٨: ٧٢] ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾.

وقد عرفتَ بما قدَّمناه قريباً أَنَّهُ ﷺ قد سَمَّى الرياءَ شركاً، فكيفَ بما ذكرناه؟! فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشركُ بالله شيئاً، لأنَّ فعلهم أكذبَ قولهم. فإن قلتَ: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه.

قلتُ: قد صرَّح الفقهاء في كتب الفقه في باب الردَّة أن مَنْ تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها<sup>(٢)</sup>، وهذا دالٌّ على أنَّهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا ماهية التوحيد، فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً، فإنَّ الله تعالى فرَضَ على عباده إفراذه بالعبادة ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾، وإخلاصها له [٥: ٩٨] ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾، ومَنْ نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً وخوفاً وطمعاً، ثمَّ نادى معه غيرَه فقد أشرك في العبادة، فإنَّ الدعاء من العبادة، وقد سمَّاه الله تعالى عبادةً في قوله تعالى: [٤٠: ٦٠] ﴿ إِنَّ الدِّينَ

(١) الذي في الآية جار ومجرور، وليس بظرف، وهو متعلق بـ ﴿ فَصَلِّ ﴾ قبلها، وقد حذف الجار والمجرور المتعلق بـ ﴿ وَأَحْزَرْ ﴾، وهو ما بعدها، أي: فصلِّ لربِّك وانحر له، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾، أي: منه، والمثال المطابق لما ذكره المصنف من تقديم الجار والمجرور قوله: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾، أي: لا إلى غيره، وقوله: ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾، أي: لا على غيره.

(٢) هذا ليس على إطلاقه؛ فقد يحصل مثل ذلك عن إكراه أو سبق لسان بدون قصد للفرح الشديد مثلاً، كالذي وجد ناقته بعد أن يتس منها، وقال: «اللَّهِمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» رواه مسلم (٢٧٤٧)، وقد مرَّ تفصيل القول في هذه المسألة في الفصل الخامس من المقدمة.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ بعد قوله: ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم، والسلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين.

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم<sup>(١)</sup>، فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانه أن ما يعتقدونه ينفع ويضر، لا يغني عنهم من الله شيئاً وأثمهم أمثالهم<sup>(٢)</sup>، وأن هذا الاعتقاد منهم فيه شرك لا يتم الإيمان بها جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه، وإفراد التوحيد اعتقاداً وعملاً لله وحده.

وهذا واجب على العلماء، أي: بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعلهُ المشركون لأصنامهم، فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك، وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله، فمن رجع وأقر حقت عليه دمه وماله وذراجه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين<sup>(٣)</sup>.

فإن قلت: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنه قد صح أن العباد يوم

(١) يوهم هذا وجود طائفة أخرى من أئمة العلم لا ترى ما تراه هذه الطائفة منهم، وهو خلاف الحق، والمسألة مسألة نصوص الوحي لا مسألة خلاف (إسماعيل).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾.

(٣) هذا يفيد أن المصنف يرى أنه لا بد من إقامة الحجة، وأثمهم قبل ذلك معذرون لجهلهم.

القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعبسى، ويتتهون إلى محمد ﷺ بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء<sup>(١)</sup>، فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر.

قلت: هذا تلبيس، فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدر عليهم لا يُنكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيليين والقبطي: [٢٨: ١٥] ﴿ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾، وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم، وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى، من عافية المريض وغيرها، بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه، قد يجعلون له حصّة من الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمّه ليعيش لهم<sup>(٢)</sup>، ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون.

ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور: أنه جاءه إنسان بدراهم وحلية نسائية، وقال هذه لسيّده فلان - يريد صاحب القبر - نصف مهر ابنتي؛ لأنّي زوجتها وكنّت ملكت نصف مهرها<sup>(٣)</sup> فلاناً - يريد صاحب القبر.

وهذه النذور بالأموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه (تلما) في بعض الجهات اليمنية، وهذا شيء ما بلغ إليه عبّاد الأصنام، وهو داخل تحت قول الله تعالى: [١٦: ٥٦] ﴿ وَتَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠).

(٢) لفظ (لهم) من خ.

(٣) لفظ (مهرها) من خ.

رَزَقْنَهُمْ ﴿ بلا شك ولا ريب.

نعم! استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما<sup>(١)</sup> يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب حتى يُريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه، أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: « لا تنسنا يا أخي من دعائك »<sup>(٢)</sup>.

وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم في قوله تعالى: [٥٩: ١٠] ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ ، وقد قالت أم سليم رضي الله عنها: « يا رسول الله! خادمتك أنس، ادعُ الله له »<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه رضي الله عنه وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفّسوا عن حبلأهم، وأن يسقوا زرعهم، ويُدروا ضرورهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحدٌ إلا الله تعالى.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: [٧: ١٩٧] ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ، [٧: ١٩٤] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) كذا، ولعله (أن يدعوا الله).

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٨) وغيره، وفي إسناده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر ابن الخطاب، وهو ضعيف كما في التقريب، ويُعني عنه حديث إرشاد النبي رضي الله عنه إلى طلب الدعاء من أويس القرني، رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٣) رواه البخاري (١٩٨٢) ومسلم (٢٤٨٠).

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴿١﴾ ، فكيف يطلب الإنسان من الجهاد أو من حي - الجهاد خير منه - لأنه لا تكليف عليه، وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: [١٣٦: ٦] ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴿١﴾ الآية، وقال: [١٦: ٥٩] ﴿ وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُ لِنُفْسِنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ ﴾ .

فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلّاهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة<sup>(١)</sup>، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعتقد إلا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة<sup>(٢)</sup>، وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد، ونحروا تقرباً إليهم.

وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك، ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم؟ لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيماً له وعبادة، ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا كان عبّاد الأصنام [٣٩: ٤٥] ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ .

(١) القذة: بضم القاف، ريش السهم، والمراد نهجوا نهجهم (إسماعيل).

(٢) مجرد شد الرحل للزيارة ليس بشرك، بل هو من وسائله.

وفي الحديث الصحيح: « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتَ »<sup>(١)</sup>،  
وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول: « لا إله إلا الله »<sup>(٢)</sup>،  
وهذا يدل على أنه ارتدَّ بالحلف بالصنم، فأمره أن يُجِدِّد إسلامه، فإنه قد كَفَرَ  
بذلك، كما قرَّرناه في سبل السلام شرح بلوغ المرام، وفي منحة الغفار<sup>(٣)</sup>.

فإن قلت: لا سواء، لأن هؤلاء قد قالوا (لا إله إلا الله)، وقد قال النبي  
ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا  
مَنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا »<sup>(٤)</sup>.

وقال لأسامة بن زيد: « لَمْ قَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ »<sup>(٥)</sup>، وهؤلاء  
يُصَلُّونَ وَيُصُومُونَ وَيَزُكُّونَ وَيَحْجُّونَ بخلاف المشركين.

قلت: قال ﷺ: « إِلَّا بِحَقِّهَا »، وحقُّها: إفرادُ الإلهية والعبودية لله تعالى.  
والقبورِيُّونَ لَمْ يُفَرِّدُوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة، فإنَّها لا

(١) رواه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) حديث « من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله » أخرجه  
البخاري (٤٨٦٠) ومسلم (١٦٤٧).

(٣) ما قرَّره الصنعاني في هذا الحديث خلاف صنيع البخاري في باب (من حلف بملة  
سوى ملة الإسلام) من صحيحه، فقد قال فيه: « وقال النبي ﷺ: من حلف باللات  
والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ولم ينسبه إلى الكفر »، ومعلوم أن ما يقع من الصحابة  
في ذلك ليس على سبيل القصد، وإنما هو من سبق اللسان، فأمره من وقع منهم في  
ذلك بقول: (لا إله إلا الله) من باب الكفارة لا من باب تجديد الإسلام (إسماعيل).

وحصول ذلك من الصحابة لما كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وكلام المصنف في سبل  
السلام أورده في شرح الحديث الأول من أحاديث كتاب الأيمان والندور.

(٤) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٥) رواه البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (١٥٨).

تنفع إلا مع التزام معناها، كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء. وكذلك مَنْ جعل غير مَنْ أرسله الله نبياً، لم تنفعه كلمة الشهادة، ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصَلُّون، ولكنهم قالوا: إنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٍّ، فقاتلهم الصحابةُ وسبَّوهم، فكيف بمن يجعل للوليِّ خاصَّةَ الإلهية ويُنَادِيهِ للمِهْمَاتِ!؟

وهذا أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حرق أصحابَ عبد الله ابن سبأ، وكانوا يقولون نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ولكنهم غلَّوا في علي عليه السلام، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبورِيُّونَ وأشباههم، فعاقبهم عقوبةً لم يُعاقب بها أحداً من العصاة، فإنَّه حفر لهم الحفائرَ، وأجَّج لهم ناراً، وألقاهم فيها وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مَنكَرًا      أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبَرًا

وقال الشاعر في عصره:

لَتَرَمَ بِي الْمَنِيَّةَ حَيْثُ شَاءَتْ      إِذَا لَمْ تَرَمْ بِي فِي الْحُفْرَتَيْنِ

إِذَا مَا أَجَّجُوا فِيهِنَّ نَارًا      رَأَيْتَ الْمَوْتَ نَقْدًا غَيْرَ دَيْنِ

والقصَّة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير<sup>(١)</sup>.

وقد وقع إجماعُ الأمة على أن مَنْ أنكر البعثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، ولو قال لا إله إلا

الله، فكيف بمن يجعل لله نداً؟!؟

(١) قصة تحريق علي السبائية هي في الفتح (١٢/٢٧٠)، ذكرها وقال: « وهذا سند حسن »، وهي في شرح حديث (٦٩٢٢) من صحيح البخاري، والبيتان ذكرهما في الفتح (٦/١٥١) في شرح حديث (٣٠١٧).

فإن قلت: قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لِن قال (لا إله إلا الله)، كما هو معروف في كتب الحديث والسير.

قلت: لا شك أن مَنْ قال: (لا إله إلا الله) من الكفار حَقَنَ دَمَهُ وماله حتى يتبين منه ما يُخالف ما قاله، ولذا أنزل الله في قصة محلم بن جثامة [٩٤: ٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَّتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾ الآية (١)، فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن مَنْ قال كلمة التوحيد، فإن تبين التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ. وهكذا كُلُّ مَنْ أظهر التوحيد وجب الكفُّ عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجردا، ولذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة التي يحتقر الصحابةُ عبادتهم إلى جنبها، بل أمر ﷺ بقتلهم، وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» (٢)، وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء، كما ثبت به الأحاديث (٣).

فثبت أن مجرد قول كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك مَنْ قالها؛ لارتكابه ما يُخالفها من عبادة غير الله.

فإن قلت: القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس

(١) القصة في سبب نزول الآية في الصحيحين: البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥)، دون تسمية القاتل، وفي مسند الإمام أحمد (٢٣٨٨١) وغيره تسمية القاتل محلم بن جثامة، وفي إسنادها القعقاع بن عبد الله، وفيه مقال.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٠٠) وابن ماجه (١٧٦)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وَجُهاْلهم من الأحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد إلا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم ولا نحجُّ.

قلتُ: هذا جهلٌ بمعنى العبادة، فإنَّها ليست منحصرةً في ما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمُّونه معتقداً، ويصنعون له ما سمعته ممَّا تفرَّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة بهم والاستعانة والحلف والنذر، وغير ذلك.

وقد ذكر العلماء أن من تزَيَّأ بزَيِّ الكفار صار كافراً<sup>(١)</sup>، ومَن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً<sup>(٢)</sup>، فكيف بمن بلَّغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً.

فإن قلت: هذه النذورُ والنحائرُ ما حكمها؟

قلتُ: قد عَلِمَ كُلُّ عاقلٍ أنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها، يسعون في جمعها ولو بارتكاب كلِّ معصية، ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذل أحدٌ من ماله شيئاً إلاَّ معتقداً لِحلب نفع أكثر منه أو دفع ضررٍ، فالنَّاذرُ

(١) هذا فيما إذا تزَيَّأ عالماً قاصداً بزَيِّهم الذي هو من خصائصهم، كألبسة رهبانهم، وكشدُّ الزنار في أوساطهم، أمَّا إذا نشأ مسلم على ارتداء لباس الكفار (اللباس الإفرنجي) حتى كأنه لا يعرف غيره فلا يكون له هذا الحكم، وقد روى البيهقي في مناقب الشافعي (ص: ٤٧٤) بإسناده إلى الحميدي قال: «سأل رجلُ الشافعيَّ بمصر عن مسألة فأفتاه، وقال: قال النَّبِيُّ ﷺ كذا، فقال الرجلُ: أتقول بهذا؟! قال: رأيتَ في وسطي زناراً؟! أتراني خرجتُ من الكنيسة؟! أقول: قال النَّبِيُّ ﷺ، وتقول لي: أتقول بهذا؟! أروي عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟!».

ومع هذا فإن على المسلمين الذين ابتلوا بالنشأة على هذا اللباس أن يعملوا على تعديل لباسهم بما يُغاير لباس الكفار، كتوسيع الألبسة، واللائق بهم بل المتعيَّن عليهم أن يصيروا إلى التزَيُّي بزَيِّ المسلمين.

(٢) انظر: الفصل الخامس من المقدمة، والتعليق (ص: ٦٥، ٧٠).

للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقادٌ باطل، ولو عرفَ النَّاذِرُ بطلانَ ما أَرادَه ما أخرجَ درهمًا، فإنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها، قال تعالى: [٤٧: ٣٦ - ٣٧] ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۖ إِن يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَنُحْرِجْ أضعفكم﴾. فالواجبُ تعريفُ مَنْ أخرجَ النذرَ بأنَّه إضاعةٌ لماله، وأنَّه لا ينفعه ما يُخرجه ولا يدفع عنه ضرراً، وقد قال ﷺ: «إِنَّ النَّذَرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»<sup>(١)</sup>، ويجب رده إليه.

وأما القابض للنذر فإنه حرامٌ عليه قبضه؛ لأنَّه أكلٌ لمالِ الناذرِ بالباطل، لا في مقابلة شيء، وقد قال تعالى: [١٨٨: ٢] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، ولأنَّه تقريرٌ للنذر على شركه وقُبْح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكمُ الراضي بالشرك، [٤: ٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية، فهو مثل حُلوان الكاهن ومهر البغي، ولأنَّه تدليسٌ على الناذر، وإيهامٌ له أنَّ الوليَّ ينفعه ويضره.

فأيُّ تقريرٍ لمنكرٍ أعظمٍ من قبضِ النذر على الميت؟ وأيُّ تدليسٍ أعظم؟ وأيُّ رضا بالمعصية العظمى أبلغ من هذا؟ وأيُّ تصويرٍ لمنكرٍ معروفاً أعجب من هذا؟ وما كانت النذورُ للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب، يعتقدُ النَّاذِرُ جلبَ النفع في الصنم ودفع الضرر، فينذرُ له جزوراً من ماله، ويقاسمه في غلاتٍ أطيانه، ويأتي به إلى سَدَنَةِ الأصنام فيقبضونه منه، ويوهومونه حقيقة عقيدته، وكذلك يأتي بنحيرته فينحرُّها بباب بيت الصنم.

وهذه الأفعال هي التي بعث اللهُ الرسلَ لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهي

عنها.

(١) رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (١٦٣٩).

فإن قلت: إن الناذر قد يُدركُ النفعَ ودفع الضرر بسبب إخراجِه للذَر  
وبذله!

قلتُ: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغُ من هذا، وهو الخطاب  
من جوفها والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلاً على حقيقة  
القبور وصحة الاعتقاد فيها؛ فليكن دليلاً على حقيقة الأصنام، وهذا هدمٌ  
للإسلام وتشبيهُ لأركان الأصنام.

والتحقيقُ: أنَّ لإبليسَ وجنوده من الجنِّ والإنسَ أعظمَ العناية في إضلال  
العباد، وقد مكَّن اللهُ إبليسَ من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور  
والتقام القلب بخرطومه، وكذلك يدخل أجواف الأصنام ويُلقى الكلام في  
أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في عقائد القبوريين<sup>(١)</sup>، فإنَّ الله تعالى قد أذن له أن  
يُجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد.

وثبت في الأحاديث: أنَّ الشيطانَ يَسْتَرِقُ السَّمْعَ بالأمر الذي يُحدثه اللهُ،  
فيُلقيه إلى الكُهَّان، وهم الذين يُجربون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان  
من عند أنفسهم مائة كذبة<sup>(٢)</sup>.

ويقصدُ شياطينُ الجنِّ شياطينَ الإنسِ من سدنة القبور وغيرهم فيقولون:  
إنَّ الوليَّ فَعَلَ وفَعَلَ، يُرغَّبونهم فيه ويحذِّرونهم منه، وترى العامة ملوك الأقطار  
وولاية الأمصار مُعزِّزين لذلك ويؤلُّون العمال لقبض النذور، وقد يتولَّاهَا مَنْ  
يُحسنون فيه الظنَّ من عالم أو قاضٍ أو مُفتٍ أو شيخ صوفي، فيتمُّ التدليسُ

(١) في طبعة رئاسة الإفتاء: (أهل القبوريين)، بزيادة: (أهل)، وفي طبعة المكتب  
الإسلامي (١٣٩٧هـ) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري بحذفها، وهو الصواب.

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٢) ومسلم (٢٢٢٨).

لابليس، وتقرُّ عينُه بهذا التليس.

فإن قلت: هذا أمرٌ عمَّ البلادَ، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبَّق الأرض شرقاً وغرباً، ويمناً وشاماً، وجنوباً وعدناً، بحيث لا تجدُ بلدةً من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء، يعتقدون فيها ويعظّمونها وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويُسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويُلَبسونها الثياب، ويصنعون كلَّ أمر يقدرُون عليه من العبادة لها، وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها.

بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلُّون في أوقات الصلاة، يصنعون فيه ما ذكِر أو بعض ما ذكر، ولا يَسَعُ عقلٌ عاقل أن هذا منكرٌ يبلُغُ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكتُ عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

قلت: إن أردتَ العدلَ والإنصافَ، وتركتَ متابعة الأسلاف، وعرفتَ أنَّ الحقَّ ما قام عليه الدليلُ، لا ما اتَّفَقَ عليه العوالمُ جيلاً بعد جيل، وقبلاً بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي ندندنُ حولَ إنكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرةٌ عن العامة الذين إسلامهم تقليدُ الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دبير وقبيل<sup>(١)</sup>، ينشأ الواحدُ فيهم فيجدُ أهلَ قريته وأصحاب بلده يُلَقِّنونه في الطفولية أن يهتَفَ باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه، ويعظّمونه، ويرحلون به إلى محلِّ قبره، ويلطخونه بترابه،

(١) لفظ (دبير وقبيل) من خ (إسماعيل)، وفي طبعة المكتب الإسلامي (١٣٩٧هـ)، وطبعات أخرى: (دني ومثيل).

ويجعلونه طائفاً على قبره، فينشأ وقد قرَّ في قلبه عظمة ما يعظّمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه.

فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى ممن يتسم بالعلم، ويدعي الفضل، وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة، معظماً لما يعظّمونه، مُكرماً لما يكرمونه، قابضاً للندور، آكلاً ما يُنحر على القبور، فيظنُّ العامة أن هذا دينُ الإسلام، وأنه رأسُ الدين والسَّنام<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرفُ بارقةً من علم الكتاب والسنة والأثر، أن سكوت العالم أو العالم<sup>(٢)</sup> على وقوع مُنكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر.

ولنضرب لك مثلاً من ذلك؛ وهي هذه المكوسُ المسماة بالمجابي، المعلوم من ضرورة الدين تحريمها، قد ملأت الديار والبقاع، وصارت أمراً مانوساً، لا يلج إنكارها إلى سَمع من الأسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع، في مكة أم القرى، يقبضون من القاصدين لأداء فريضة الإسلام، ويلقون في البلد الحرام كلَّ فعل حرام، وسكاتها من فضلاء الأنام، والعلماء والحكّام ساكتون على الإنكار، مُعرضون عن الإيراد والإصدار، أفيكون السكوت من العلماء، بل من العالم<sup>(٣)</sup> دليلاً على حلِّ أخذها وإحرازها؟ هذا لا

(١) من أعظم المصائب أن يكون بعض المتسبين إلى العلم واقعاً في هذه الأمور الخطيرة التي ذكرها المصنف، فيكونون بذلك قدوة سيئة للعامة.

(٢) لفظ (أو العالم) من خ.

(٣) قوله: (من العلماء بل من العالم) من خ.

يقوله مَنْ له أدنى إدراك.

بل أضرب لك مثلاً آخر؛ هذا حَرَمُ الله الذي هو أفضلُّ بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء، أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال هذه المقامات الأربعة، التي فرقت عبادات العباد، واشتملت على ما لا يُخصيه إلا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين، وصيرتهم كالمِلَلِ المختلفة في الدين، بدعةً قرّت بها عينُ إبليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة الشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها<sup>(١)</sup>، وشاهدها كلُّ ذي عينين، وسمع بها كلُّ ذي أذنين.

أفهذا السكوت دليلٌ على جوازها؟ هذا لا يقوله مَنْ له إمامٌ بشيء من المعارف<sup>(٢)</sup>، كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين.

(١) مراد المصنف بالأبدال العلماء الذين يُظهر الله بهم الدين وينصر بهم الملة، ومن ذهب منهم أبدله الله بمن يقوم مقامه في ذلك، ومراده بالأقطاب العلماء الذين يُلقب الواحد منهم قطب الدين، ومن أمثلة ذلك قطب الدين الحنفي الذي ذكره الشيخ إسماعيل الأنصاري هنا ممثلاً بكلامه لإنكار العلماء إحداث هذه المقامات الأربعة.

(٢) مقتضى هذا أن العلماء لم يستنكروا هذا، وهو خلاف الواقع، فقد قال العلامة قطب الدين الحنفي في (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام): «إن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كلِّ مذهب بإمام ما أجازته كثيرٌ من العلماء، وإن تعدد المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الإنكار، ولهم في ذلك رسالات متعدّدة باقية بأيدي الناس الآن، وإن علماء مصر افتوا بعدم جواز ذلك، وخطأوا مَنْ قال بجوازه». اهـ.

وأما إنكار المؤلف لهذا الصنيع فلا شك في وجاهته، وقد برئت به ذمته، كما برئت ذمّة من سبقه من العلماء، وقد حصل بفضل الله ما تمنّوه بعد استيلاء الحكومة السعودية - حفظها الله - على الحرمين، فقد أزيلت هذه المقامات، وجمعت المسلمين على إمام واحد في الصلاة، وفي هذا تنبيه على أن ما يسجله الدعاة من الحق إن لم ينتفع به معاصروهم فسيستفيع به مَنْ وفقه الله مَنْ يأتي بعدهم، والله المستعان (إسماعيل).

فإن قلت: يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة، حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة.

قلت: حقيقة الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على أمر بعد عصره، وفقهاء المذاهب الأربعة يُحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة<sup>(١)</sup>، وإن كان هذا قولاً باطلاً وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة، فلا يرد السؤال؛ فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم

من أعظم حسنات الملك عبد العزيز ﷺ أنه منذ بدء ولايته قضى على هذا التفرق في الصلاة حول الكعبة، وجمع الناس على إمام واحد يُصلي بهم مجتمعين غير متفرقين، وقد سمعت من الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ﷺ - وهو ممن أدرك ذلك الوقت - يذكر أن واحداً ممن ألهم ذلك التفرق تحدث مع واحد من المتعصبين لذلك التفرق، فكان جواب ذلك المتعصب أن قال: الدليل على أنكم لستم على حق أنه ليس لكم مقام حول الكعبة، فكان جواب المنكر لذلك التفرق: يكفي المسلمين جميعاً مقام إبراهيم، ولا يحتاجون إلى مقامات أخرى!!

وقال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في كتابه (التعليق المغني على سنن الدارقطني) (٢٢٦/٤): «ومنها - يعني البدع - تكرار الجماعات بأئمة متعددة، كما يُصنع الآن في الحرم الشريف، فيقولون: هذا المصلى للشافعي، وهذا للحنفي، وهذا للمالكي، وهذا للحنبلي، ويسعون في تفريق الجماعة، قال القاضي الشوكاني في إرشاد السائل إلى دليل المسائل: وإن من أعظمها خطراً وأشدّها على الإسلام ما يقع الآن في الحرم الشريف من تفريق الجماعة، ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات، كأنهم أهل أديان مختلفة، وشرائع غير مؤتلفة، فإننا لله وإننا إليه راجعون»، ثم ذكر نقولاً أخرى في إنكار ذلك عن علماء متقدمين ومتأخرين.

(١) إحالة الاجتهاد من بعد الأئمة الأربعة ليس إلا قول بعض المتسبين إلى هذه المذاهب من المتأخرين، وقد اعتبر السيوطي ذلك القول منهم جهلاً، وألف في الرد عليه كتاب (الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض)، وقد سرد نصوص فقهاء المذاهب الأربعة المعترين على خلاف ما ذكره الصنعاني هنا (إسماعيل).

يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة، وعلى ما نحققه فالإجماع وقوعه محال.  
فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق، وصارت في كل أرض وتحت كل  
نجم، فعلماءها المحققون لا ينحصرون، ولا يتيم لأحد معرفة أحوالهم، فمن  
ادعى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة علماء المسلمين فإنها دعوى كاذبة، كما  
قاله أئمة التحقيق<sup>(١)</sup>.

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه، بل سكتوا عن إنكاره، لما دلَّ  
سكوتهم على جوازه؛ فإنه قد عُلِمَ من قواعد الشريعة أن وظائف الإنكار  
ثلاثة:

أولها: الإنكار باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته.

ثانيها: الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير باليد.

ثالثها: الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان.

فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر، ومثاله: مرور فرد من أفراد علماء الدين  
بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين، فهذا الفرد من علماء الدين لا  
يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان؛ لأنه إنَّما  
يكون سخرية لأهل العصيان، فانتفى شرط الإنكار بالوظيفتين، ولم يبق إلا

(١) إذا كان مراد المصنف نفي الإجماع مطلقاً ففيه نظر؛ فإنه هو نفسه يتقل في سبيل السلام  
إجماع العلماء ولا يعترض عليه، كما في شرحه لحديث أبي أمامة (١/٢٤): «إن الماء لا  
ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه»، بل إنه يحكي الإجماع كما في شرح  
حديث علي بن طلق: «إذا فسا أحدكم في الصلاة فليصرف، وليتوضأ وليعد الصلاة  
»، قال في شرحه (١/٢٠٢): «والحديث دليل على أن الفساء ناقض للوضوء، وهو  
مجمع عليه».

الإنكارُ بالقلب الذي هو أضعفُ الإيمان، فيجب على مَنْ رأى ذلك العالمَ ساكتاً عن الإنكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبَّار، أن يعتقدَ أنه تعذَّر عليه الإنكارُ باليد واللسان، وأنه قد أنكر بقلبه.

فإنَّ حُسْنَ الظنِّ بالمسلمين أهلِ الدِّين واجبٌ، والتأويل لهم ما أمكَنَ صَرَبُهُ لازبٌ، فالداخلون إلى الحرم الشريف، والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية التي فرَّقت شملَ<sup>(١)</sup> الدِّين، وشتَّت صلوات المسلمين معذورون عن الإنكارِ إلَّا بالقلب، كما المرَّين على المكَّاسين وعلى القبوريين.

ومن هنا يُعلم اختلال ما استمرَّ عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلُّون عليه بالإجماع<sup>(٢)</sup>: إنَّه وقع ولم يُنكر، فكان إجماعاً.

ووجهُ اختلاله أنَّ قولهم: (ولم يُنكر) رجمٌ بالغيب؛ فإنَّه قد يكون أنكرته قلوبٌ كثيرة تعذَّر عليها الإنكارُ باليد واللسان، وأنت تشاهد في زمانك أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك، وأنت مُنكرٌ له بقلبك، ويقول الجاهلُ إذا رآك تشاهده: سكت فلانٌ عن الإنكار، يقوله إما لائماً أو مُتأسِّياً بسكوته، فالسكوتُ لا يستدلُّ به عارف، وكذا يُعلم اختلال قولهم في الاستدلال: (فعل فلان كذا، وسكت الباقيون فكان إجماعاً)، مُختلاً من جهتين:

الأولى: دعوى أنَّ سكوتَ الباقيين تقريرٌ لفعل فلان؛ لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير.

الثانية: قولهم: (فكان إجماعاً)؛ فإنَّ الإجماعَ اتفاقٌ مجتهدِي<sup>(٣)</sup> أمة محمد

(١) لفظ (شمل) من خ، ووقع بدله في المطبوعة (كلمة) (إسماعيل).

(٢) قوله (بالإجماع) من خ.

(٣) لفظ (مجتهدِي) من خ.

ﷺ، والساکتُ لا يُنسب إليه وفاق ولا خلاف، حتَّى يُعرب عنه لسانه.

قال بعض الملوك - وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت - ما لك لا تقول كما يقولون؟ فقال: إن تكلمتُ خالفتهم. فما كلُّ سكوت رضى؛ فإنَّ هذه منكراتُ أسسها من بيده السيفُ والسنان، ودماءُ العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فردُّ من الأفراد على دفعه عمَّا أراد؟

فإنَّ هذه القبابَ والمشاهدَ التي صارت أعظمَ ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبرَ وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالبٌ، بل كلُّ من يعمرها هم الملوكُ والسلاطينُ والرؤساءُ والولاةُ، إمَّا على قريب لهم أو على من يُحسنون الظنَّ فيه، من فاضل أو عالم أو صوفيٍّ أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناسُ الذين يعرفونه زيارة الأموات، من دون توَسُّل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتَّى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء، وسُرِّجت عليه الشموعُ، وفرَّش بالفراش الفاخر، وأزخيت عليه الستورُ، وألقيت عليه الأورادُ والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضرر، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعلَ وفعل، وأنزل بفلان الصَّررَ، وبفلان النفع، حتى يغرُسوا في جبلته كلَّ باطل، ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعنُ على من أسرج على القبور، وكتب عليها وبنى عليها<sup>(١)</sup>،

(١) النهي عن البناء على القبور ثبت في صحيح مسلم (٩٧٠)، والنهي عن الكتابة رواه أبو داود (٣٢٢٦) والترمذي (١٠٥٢) والنسائي (٢٠٢٧) وابن ماجه (١٥٦٣) والحاكم (٣٧٠/١) عن جابر رضي الله عنه، وفي بعضها: عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن جابر، وروايته عن جابر مرسله، وفي بعضها: عن ابن جريج، عن أبي

وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإنَّ ذلك في نفسه منهبي عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة.

فإن قلت: هذا قبرُ رسول الله ﷺ قد عُمِّرت عليه قُبَّةٌ عظيمةٌ أنفقت فيها الأموال.

قلت: هذا جهلٌ عظيمٌ بحقيقة الحال، فإنَّ هذه القُبَّةَ ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من أصحابه، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أُمَّته وأئمَّةِ مِلَّتِهِ، بل هذه القُبَّةُ المعمولةُ على قبره ﷺ من أبنية بعض مُلوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور، في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في (تحقيق النصرَة بتلخيص معالم دار الهجرة) <sup>(١)</sup>، فهذه أمورٌ دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخرُ الأول.

وهذا آخرُ ما أوردناه ممَّا أوردناه ممَّا عمَّت البلوى، وأتبع الأهواء وأعرض العلماء عن النكير، الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ما مالت العامةُ إليه، وصار المنكرُ معروفًا والمعروفُ منكرًا، ولم نجد من الأعيان ناهيًا عن ذلك ولا

الزبير، عن جابر، وفي جميعها عن عنة ابن جريج وأبي الزبير، وقد صححه الحاكم والذهبي والألباني. انظر: أحكام الجنائز وبدعها (ص: ٢٠٤).

وليس في البناء والكتابة ذكر اللعن، وأمَّا إسراج القبور فقد ورد فيه اللعن عند أبي داود وغيره من رواية أبي صالح باذان، عن ابن عباس، وأبو صالح ضعيف، ويدلُّ لتحريمه قوله ﷺ: «(من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)» متفق عليه، وقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» رواه مسلم، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢٢٥).

(١) للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي المتوفى سنة (٨١٦هـ)، والمشهور أن اسمه كنيته، وقيل: اسمه عبد الله، وله ترجمة طويلة في الضوء اللامع للمؤرخ الناقد السخاوي (إسماعيل).

زاجراً<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: قد يتَّفَق للأحياء أو للأموات اتصال جماعة بهم، يفعلون خَوَارِقَ من الأفعال يَتَسَمَّون بالمجاذيب، فما حكم ما يأتون به من تلك الأمور؟ فإنَّها مِمَّا جُبِلَت القلوب إلى الاعتقاد بها.

قلت: أما المتسمُّون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم، ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس اللعين، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم الشياطين حُلَّ التلبس والتزيين، فإنَّ إطلاقَ لفظ الجلالة منفرداً عن إخبار عنها بقولهم (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد، وإنَّما هو تلاعبٌ بهذا اللفظ الشريف<sup>(٢)</sup>، بإخراجه عن لفظه

(١) لعلَّه يريد بالنفي البلاد اليمنية، وقد أثنى في أبياته التي ذكر بعضها فيما مضى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في إنكار البناء على القبور والغلوِّ في أصحابها، وكثير من العلماء في مختلف العصور يُنكرون ذلك في مؤلفاتهم، ومن ذلك قول ابن كثير في البداية والنهاية (في حوادث سنة ٢٠٨هـ): « وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام.»

(٢) حاول بعض المتأخرين الاستدلال لهذا الصنيع بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾، وقال: « معنى قوله ﴿ قُلْ اللَّهُ ﴾ لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة: كلمة (الله)، وقد ردَّ عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره بقوله: « وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يُفيد في لغة العرب إفادة يحسن السكوت عليها » (إسماعيل).

والكلام هو المفيد، كما قال ابن مالك:

« كلامنا لفظ مفيد كاستقم »، والتقدير في الآية: قل الله أنزله، وحُذِف لدلالة السياق عليه، قال ابن مالك في الألفية:

العربي، ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني، ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يُسَمَّى بزيد وصار جماعةً يقولون (زيد زيد) لَعَدَّ ذلك استهزاءً وإهانةً وسُخريةً، ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريفَ اللفظ.

ثم انظر هل أتى في لفظية من الكتاب والسنة ذكرُ الجلالة بانفرادها وتكريرها؟ أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذِّكر والتوحيد والتسييح والتهليل، وهذه أذكارُ رسول الله ﷺ وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشَّهيق والنهيق والنعيق، الذي اعتاده مَنْ هو عن الله وعن هدي رسول الله ﷺ وَسَمَّيْتِهِ ودلَّهُ في مكانٍ سحيق.

ثم قد يُضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماءَ جماعة من الموتى، مثل (ابن علوان) و(أحمد بن الحسين) و(عبد القادر) و(العيدروس)، بل قد انتهى الحال إلى أَنَّهُمْ يَفْرُونَ إلى أهل القبور من الظلم والجور، كعلي رومان وعلي الأحمر، وأشباههما، وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضُّلال، فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر.

فإن قلت: إِنَّه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون لفظ الجلالة، ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة، خوارق عادات وأمور<sup>(١)</sup> تُظَنُّ كرامات، كطعن أنفسهم بالآلات الحادة، وحملهم لمثل الحَنَش والحَيَّة والعقرب، وأكلهم

وحذف ما يُعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغني عنه إذ عُرِف.

(١) في الأصل المطبوع: (وأموراً)، والصواب ما أثبتته، وفي طبعة المكتب الإسلامي زيادة لفظ: (عمل) في جملة: (ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة...).

النَّارِ، وَمَسَّهُمْ إِيَّاهَا بِالْأَيْدِي، وَتَقَلَّبُهُمْ فِيهَا بِالْأَجْسَامِ.  
 قُلْتُ: هَذِهِ أَحْوَالُ شَيْطَانِيَّةٍ، وَإِنَّكَ لَمُلَبَّسٌ عَلَيْكَ أَنْ ظَنَنْتَهَا كِرَامَاتٍ لِلْأَمْوَاتِ،  
 أَوْ حَسَنَاتٍ لِلْأَحْيَاءِ؛ لَمَّا هَتَفَ هَذَا الضَّالُّ بِأَسْمَائِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ أُنْدَاداً وَشُرَكَاءَ  
 لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فَهَؤُلَاءِ الْمَوْتَى أَنْتَ تَفْرَضُ أَتَمَّهُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى.  
 فَهَلْ يَرْضَى وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَهُ الْمَجْذُوبُ أَوْ السَّالِكُ شَرِيكاً لَهُ تَعَالَى وَنَدّاً؟  
 إِنْ زَعَمْتَ ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِدْأاً، وَصَيَّرْتَ هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتِ مُشْرِكِينَ،  
 وَأَخْرَجْتَهُمْ - وَحَاشَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ - عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ وَالِدِّينِ، حَيْثُ جَعَلْتَهُمْ  
 أُنْدَاداً لِلَّهِ، رَاضِينَ فَرِحِينَ، وَزَعَمْتَ أَنَّ هَذِهِ كِرَامَاتٍ لِهَؤُلَاءِ الْمَجَازِيبِ الضُّلَّالِ  
 الْمَشْرِكِينَ، التَّابِعِينَ لِكُلِّ بَاطِلٍ، الْمُنْغَمَسِينَ فِي بَحَارِ الرِّذَائِلِ، الَّذِينَ لَا يَسْجُدُونَ  
 لِلَّهِ سَجْدَةً، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ.

فَإِنْ زَعَمْتَ هَذَا، فَقَدْ أَثَبَّتَ الْكِرَامَاتِ لِلْمَشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ وَلِلْمَجَانِينَ،  
 وَهَدَمْتَ بِذَلِكَ ضَوَابِطَ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدَ الدِّينِ الْمَبِينِ وَالشَّرْعِ الْمَتِينِ.  
 وَإِذَا عَرَفْتَ بَطْلَانَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ عَلِمْتَ أَنَّ هَذِهِ أَحْوَالُ شَيْطَانِيَّةٍ، وَأَفْعَالُ  
 طَاغُوتِيَّةٍ، وَأَعْمَالُ إِبْلِيسِيَّةٍ، يَفْعَلُهَا الشَّيَاطِينُ لِإِخْوَانِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ،  
 مَعَاوَنَةً مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى إِغْوَاءِ الْعِبَادِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ وَالْجَانَّ يَتَشَكَّلُونَ بِأَشْكَالِ الْحَيَّةِ  
 وَالثَّعْبَانِ<sup>(١)</sup>، وَهَذَا أَمْرٌ مَقْطُوعٌ بِوُقُوعِهِ، فَهَمَّ الثَّعْبَانِ الَّتِي يُشَاهِدُهَا الْإِنْسَانُ فِي  
 أَيْدِي الْمَجَازِيبِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ السَّحْرِ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ أَنْوَاعٌ، وَتَعَلَّمَهُ لَيْسَ  
 بِالْعَسِيرِ، بَلْ بَابُهُ الْأَعْظَمُ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَإِهَانَةُ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ، مِنْ جَعَلِ

(١) كما في صحيح مسلم (٢٢٣٦).

(٢) وقد تكون حَيَاتٌ وَثَعَابِينَ حَقِيقِيَّةٌ خُلِعَتْ أُنْيَابُهَا وَأُزِيلَ مَكَانَ السُّمِّ مِنْهَا.

مُصَحَّفٌ فِي كَيْفٍ وَنَحْوِهِ.

فَلَا يَغْتَرَّ مَنْ يَشَاهِدُ مَا يَعْظُمُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْمَجَازِيبِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَرَاهَا خَوَارِقَ، فَإِنَّ لِلْسَّحْرِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي الْأَفْعَالِ، وَهَكَذَا الَّذِينَ يَقْلُبُونَ الْأَعْيَانَ بِالْأَسْحَارِ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ مَلَأَ سَحْرَةُ فِرْعَوْنَ الْوَادِي بِالْثَعَالِبِينَ وَالْحَيَاتِ، حَتَّى أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ سِحْرٌ عَظِيمٌ، وَالسَّحْرُ يَفْعَلُ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ ابْنُ بَطُوْطَةَ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ شَهِدَ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ قَوْمًا تَوَقَّدُ لَهُمُ النَّارُ الْعَظِيمَةَ، فَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الرَّيْقِيَّةَ، وَيَخُوضُونَ فِي تِلْكَ النَّارِ، وَيَخْرُجُونَ وَثِيَابُهُمْ كَأَنَّهَا لَمْ يَمَسَّهَا شَيْءٌ.

بَلْ ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى إِنْسَانًا عِنْدَ بَعْضِ مَلُوكِ الْهِنْدِ أَتَى بِوَلَدَيْنِ مَعَهُ، ثُمَّ قَطَعَهُمَا عَضْوًا عَضْوًا، ثُمَّ رَمَى بِكُلِّ عَضْوٍ إِلَى جِهَةِ فِرْقًا، حَتَّى لَمْ يَرَ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ، ثُمَّ صَاحَ وَيَكِي، فَلَمْ يَشْعُرِ الْحَاضِرُونَ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَ كُلُّ عَضْوٍ عَلَى انْفِرَادِهِ، وَانْضَمَّ إِلَى الْآخِرِ، حَتَّى قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى عَادَتِهِ حَيًّا سَوِيًّا، ذَكَرَ هَذَا فِي رِحْلَتِهِ، وَهِيَ رِحْلَةٌ بَسِيطَةٌ وَقَدْ اخْتَصَرَتْ، طَالَعْتُهَا بِمَكَّةَ عَامَ سِتْ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةِ وَأَلْفٍ، وَأَمْلَاهَا عَلَيْنَا الْعَلَامَةُ مَفْتِي الْحَنْفِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ، السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْعَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي الْأَغَانِي لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ (١) بِسَنَدِهِ: أَنَّ سَاحِرًا كَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ

(١) هُوَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ الْأُمَوِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي، شَيْعِيٌّ، وَهَذَا نَادِرٌ فِي أُمُورِهِ، كَذَا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ، ثُمَّ قَالَ: «وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي مَعْرِفَةِ الْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ وَالشَّعْرِ وَالْغِنَاءِ وَالْمَحَاضِرَاتِ، يَأْتِي بِأَعْجَابٍ بِحَدَّثِنَا وَأَخْبَرْنَا، وَكَانَ طَلِبُهُ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِمِائَةِ، فَكُتِبَ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً حَتَّى لَقِدْنَا أَيْتَهُمْ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ صَدُوقٌ، وَقَدْ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ: خَلَطَ قَبْلَ مَوْتِهِ»، وَأَطَالَ الذَّهَبِيُّ تَرْجُمَتَهُ (إِسْمَاعِيلُ).

فِي طَبْعَةِ رِئَاسَةِ الْإِفْتَاءِ: (حَدَّثْنَا وَأَخْبَرْنَا)، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ طَبْعَةِ الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ.

ابن عقبة، فجعل يدخُلُ في جوف بقرة ويخرج، فرآه جندب رضي الله عنه، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيفه، فلما دخل الساحرُ في البقرة، قال جندب: أتأتون السَّحَر وأنتم تبصرون، ثمَّ ضرب وسط البقرة، فقطعها، وقطع الساحرَ معها، فانذعر النَّاسُ، فحبَّسه الوليدُ، وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه، وكان على السجن رجل نصراني، فلَمَّا رأى جندباً يقوم الليل ويصبحُ صائماً، قال النصراني: والله إنَّ قوماً هذا شرُّهم لَقَوْمٌ صدق، فوكَّلَ بالسَّجن رجلاً، ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها، فقالوا: الأشعث بن قيس، فاستضافه فرأى أبا محمد يعني الأشعث ينام الليل ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل: أيُّ أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرير بن عبد الله، فوجده ينام، ثمَّ يصبح فيدعو بغدائه. فاستقبل القبلة فقال: رَبِّي رَبُّ جُنْدُب، وديني دينُ جندب، وأَسْلَمَ.

وأخرجها البيهقي <sup>(١)</sup> في السنن الكبرى بمغايرة في القصة، فذكر بسنده إلى أبي الأسود <sup>(٢)</sup>: « أنَّ الوليد بن عقبة كان في العراق يلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل ثمَّ يصيح به، فيقوم صارخاً، فيرُدُّ إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله! يُحْيِي الموتى! ورآه رجلٌ من صالحِي المهاجرين، فلَمَّا كان من الغدِ اشتمل على سيفه، فذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرَّجُل سيفه

(١) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الحافظ، بلغت تصانيفه ألف جزء، وقد نفع الله المسلمين بها شرقاً وغرباً، لإمامة الرجل ودينه وفضله وإتقانه، توفي في عاشر جمادى الأولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. اهـ ملخصاً من خبر من غير للحافظ الذهبي. (إسماعيل).

(٢) وهو: « أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا بحر بن نصر، ثنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي الأسود. (إسماعيل).

وانظر: السلسلة الضعيفة للألباني (١/٦٤٢).

فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقاً فليحي نفسه! فأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن فسجنه»<sup>(١)</sup>.

بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة، وفيها: «أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنها أخذت قمحاً، فقالت له بعد أن ألقته: [اطلع، فطلع، فقالت: أحقل، فأحقل، ثم تركته، ثم قالت إيبس، فيس، ثم قالت له: اطحن، فأطحن]، ثم قالت له: اختبز فاخبز، وكانت لا تريد شيئاً إلا كان»<sup>(٢)</sup>.

والأحوال الشيطانية لا تنحصر، وكفى بما يأتي به الدجال، والميعار أتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما»<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا في الأصل، وعبارة البيهقي ج ٨ ص ١٣٦: «وأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن، وكان رجلاً صالحاً، فسجنه فأعجبه نحو الرجل، قال: أفستطيع أن تهرب؟ قال: نعم! قال: فاخرج! لا يسألني الله عنك أبداً» اهـ (إسماعيل).

(٢) روى البيهقي تلك القصة الطويلة المشار إليها في باب (قبول توبة الساحر وحقن دمه) من السنن الكبرى (إسماعيل).

وأورد ابن كثير في تفسيره عند قول الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ﴾ الآية القصة مطولة إسناداً ومتناً عند ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال: «فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها».

(٣) هذه كلمة جميلة ختم بها المصنف كتابه، وهي مسك الختام؛ فالحق والهدى ما جاء في الكتاب والسنة، والباطل والضلال ما كان بخلافهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين (ص: ٥١٥ - ٥١٦): «وقال غير واحد من الشيوخ والعلماء: لو رأيت الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي»، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٦٢ ط مكتبة أولاد الشيخ) عند قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: «وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصديقي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيت الرجل يمشي

انتهى ما أوردناه والله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً<sup>(١)</sup>، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، كلما ذكره الذاكرون، وعَفَل عن ذكره الغافلون.

جاء في آخر طبعة رئاسة الإفتاء:

تم الكتاب والحمد لله.

وقد قوبل على نسخة خطية ضمن مجموعة تحتوي على كتب قيمة، وهي من مكتبة سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله تعالى، والنسخة المذكورة محفوظة في مكتبة الرياض السعودية برقم ٣٠٧ / ٨٦.

وقد قام بتلك المقابلة وبالتصحيح والتعليق إسماعيل بن محمد الأنصاري، وإلى المخطوطة المذكورة يرمز في بعض تعليقاته بحرف (خ).



على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قَصَّر الليث رحمته الله، بل إذا رأيتم الرجل بمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

(١) لفظ (وظاهراً وباطناً) من خ.

## فهرست تطهير الاعتقاد

- ٣٨٣..... مقدمة الكتاب
- ٣٨٥..... الأصل الأول: كلُّ ما في القرآن حق
- ٣٨٥..... الأصل الثاني: الرسل بُعثوا للدعوة إلى توحيد الله
- ٣٨٦..... الأصل الثالث: أقسام التوحيد
- ٣٨٨..... الأصل الرابع: المشركون مقرُّون أنَّ الله خالقهم إلخ
- ٣٨٩..... الأصل الخامس: أساس العبادة توحيد الله
- ٣٩٠..... أنواع العبادات
- ٣٩٠..... الرسل مبعوثون للدعوة إلى إفراد الله بالعبادة
- ٣٩٤..... الإقرار بالله لا يكفي في التوحيد مع الشرك في العبادة
- ٣٩٦..... الاعتقاد في غير الله في النفع والضرر شرك
- ٣٩٧..... طلب الدعاء من الحيِّ غير الطلب من الميت
- ٣٩٧..... الأسماء لا تغير المعاني
- ٣٩٨..... تسمية القبر مشهداً لا تخرجه عن اسم الصنم
- ٣٩٩..... محاجة مع من يذكر اسم الله في الذبح عند القبر
- ٤٠٠..... الجهل بلغ بالمشركين حتى اعتقدوا في الفسقة
- ٤٠٢..... عودة إلى بحث الطلب من الحيِّ والميت بتفصيل
- ٤٠٥..... من حلف بغير الله هل يكون مرتدّاً أم لا؟
- ٤٠٩..... حكم النذور والنحائر للقبور
- بحث فيما يحصل للمشركين من تضليل الشيطان وجنوده من الجن وطاعة العامة لهم
- ٤١١..... بسبب ما يوسوسون به

- من البلاء العظيم أكل العلماء للشُّحْت من الذنور والنحائر على القبور وسكوتهم على إنكار المنكر ..... ٤١٣
- أمثلة لمنكرات عمّت البلوى بها واضطر العلماء للسكوت عنها مما تقر به عينُ إبليس وجنوده ..... ٤١٣
- سكوت العالم عن الإنكار لا يصلح حجة على الجواز؛ لأنَّ المنكرات قد يحميها من بيده السلطة ..... ٤١٦
- حكم من يحصل له خوارق من الأفعال حياً أو ميتاً وحكم ما يعمل من الأذكار المبتدعة والأحوال الشيطانية بإيضاح وتفصيل وإلحاق بعضه بالسحر ..... ٤٢٠

